إن بطش ربك لشديد

التوحيد

العدد ٦٤٤ السنة الرابعة والخمسون - شعبان ١٤٤٦ هـ الثمـن ١٠ جنيهات

التيسير على المعسر والجزاء من جنس العمل

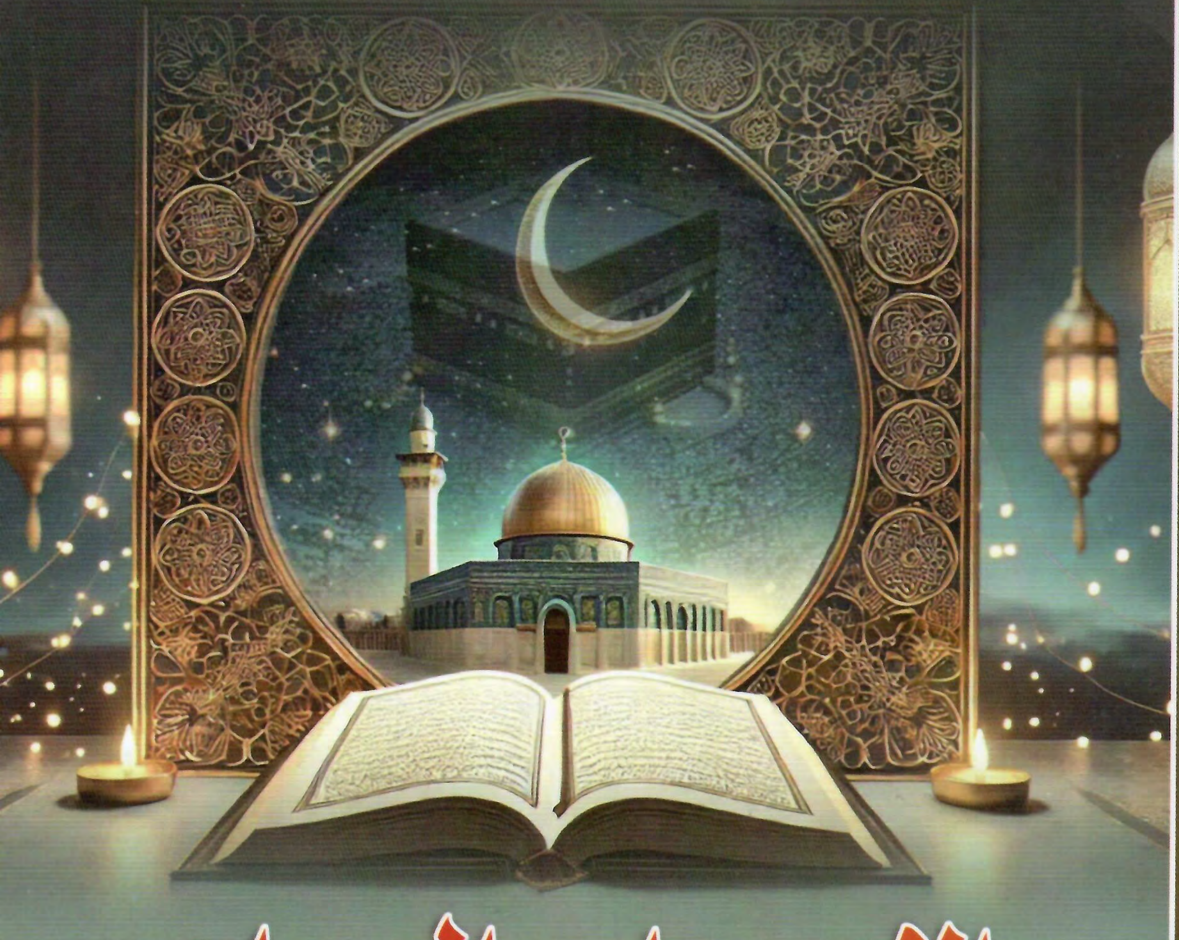

الإسراء والمعراج

الرباط السرمدي بين المسجد الأقصى والحرم المكي

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٤٤ السنة الرابعة والخمسون - شعبان ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولارًا أو ٤٠٠ ريال سعودي بالجنيه المصري.

السلام عليكم

أحاديث لا تثبت في شهر شعبان

شهر شعبان شهر فضيل كان النبي يصوم أكثره حتى قيل: إنه كان يصومه كله يصله برمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله تعالى، فعن أسامة بن زيد قال: «قُلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ: لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ ما تَصُومُ مِنْ شعبان.

قال: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رجب ورَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ». رواه النسائي (٢٣٥٧)

ومع فضل شهر شعبان فقد وردت فيها أحاديث ضعيفة أو باطلة متداولة على الألسنة، أحببنا التنبيه على بعضها حتى لا يُنسب للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، وحتى لا يقع المسلم في بدعة من جراء العمل بما لم يصح، منها:

- حديث: كان إذا دخل رجب، قال: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان.
- حديث: رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي.
- حديث: شعبان شهري ورمضان شهر الله وشعبان المطهِّر ورمضان المكفِّر.
- حديث: فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الأذكار، وفضل شعبان على سائر الشهور كفضل محمد على سائر الأنبياء، وفضل رمضان على سائر الشهور كفضل الله على عباده.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

افتتاحية العدد الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
مسائل علم التوحيد د. عبد الله شاكر ٨
الإسراء والمعراج د. أيمن خليل ١١
التيسير على المعسر د. جمال المراكبي ١٧
التوكل على الله عبد العزيز مصطفى الشامي ٢١
فضائل شهر شعبان الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
واحة التوحيد د. علاء خضر ٢٨
مفاتيح الاصطبار لعبادة العزيز الغفار د. محمد حامد ٣٠
السيد البدوي ودولة الدراويش د. محمد عبد العزيز ٣٤
تحذير الداعية من القصص الواهية الشيخ علي حشيش ٣٩
الألفاظ الموهمة في باب الصفات د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٣
شعبان شهر محاسبة النفس الشيخ صلاح عبد الخالق ٤٧
شهر شعبان وتحويل القبلة الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٤٩
دروس وعبر من غزوة أحد د. سيد عبد العال ٥٢
تعليق القلوب بالله وحده الشيخ عبده أحمد الأقرع ٥٥
الإذاعة للحروب العالمية الثلاثة د. أحمد بن سليمان أيوب ٥٨
عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة
لواء مهندس محمود المراكبي، رحمه الله ٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

افتتاحية العدد

إن بطش ربك لشديد

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله الملك الجبار، والصلاة والسلام على الرسول المختار، وبعد:

فإن سُنة الله في الصراع بين الحق والباطل ماضية في خلق الله إلى قيام الساعة، وكثيرًا ما يتطاول الظلم والطغيان حتى تضيق الأرض بالمظلوم، وفي هذا المعنى جاءت آيات كثيرة من كتاب الله تعالى تصف حال الابتلاء في الدنيا وكيف يصل الأمر حتى بالرسل وهم أعرف الناس بالله تعالى فيدعون الله بقرب الفرج والمخرج من الشدة والضيق: قال تعالى: « أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ » (البقرة: ٢١٤).

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لكلمة «وَزُلْزِلُوا» خوفًا من الأعداء زلزالًا شديدًا، وامتحنوا امتحانًا عظيمًا، وقد جاء في الصحيح من حديث خباب بن الأرت قال: أَتَيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسم وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وهو في ظلِّ الكَعْبَة وقدْ لَقِينا من المُشْركِين شدَّةً، فَقُلتُ: يا رَسولَ الله، ألا تَدْعُو الله، فَقَعَدَ وهو مُحْمَرٌّ وجْهُهُ، فَقالَ: لَقَدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بمشاط الحَدِيد، ما دُونَ عظامه من لَحْم أوْ عَصَب، ما يَصْرِفُهُ ذلكَ عن دينه، ويُوضَعُ المنْشارُ على مَفْرِقِ رَأْسه، فيُشَقُّ باثْنَيْنِ ما يَصْرِفُهُ ذلكَ عن دينه، ولَيُتِمَّنَّ الله هذا

الأَمْرَ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، ما يَخافُ إلا اللهَ.

وعقيدة المسلم أن النصر لا يكون إلا من الله «وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» (آل عمران: ١٢٦). وسُنة الله تعالى إمهال الظالمين: «وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» (ابراهيم: ٤٢).

وجاءت آيات القرآن تُبيّن أن الله تعالى لو عاجل كل ظالم بظلمه لأهلك من في الأرض كلهم جميعًا. قال تعالى: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا» (فاطر: ٤٥).

قال القرطبي: عند تفسيرها: قال ابن مسعود يريد جميع الحيوان مما دبَّ ودرج. وقال قتادة: وقد فعل ذلك زمن نوح -عليه السلام-. وقال ابن مسعو: كاد الجعل أن يُعذب في جحره بذنب ابن آدم.

فإن كان من سنة الله تعالى أنه يمهل الظالمين، فإنه سبحانه أخبر عن بطشه وعقابه للظالمين. قال تعالى: «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» (البروج: ١٢).

وقد جاءت هذه الآية عقب الحديث عن بطش الظالمين بالمستضعفين في قصة أصحاب الأخدود الذين أمروا بحفر الأخاديد وهي الحفر في الأرض في طرق الناس وإضرام النار فيها فمن لم يرجع عن دينه ألقوه في حفر النار فلم يسلم منهم صغير ولا كبير: قال تعالى: «وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» (البروج: ٨).

فحذَّر سبحانه عباده من بطشه الشديد وانتقامه من الظالمين كما قال سبحانه: «ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ» (الزمر: ١٦)، وبطش الله تعالى كما قال ابن عطية هو الأخذ بقوة، وقال الطاهر ابن عاشور: والبطش الأخذ بعنف وشدة ويُستعار للعقاب المؤلم الشديد.

وقال الطبري -رحمه الله-: "إن بطش ربك هو انتقامه الشديد، وهو تحذير من الله لقوم رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- أن يحل بهم من عذابه ونقمته نظير الذي حلّ بأصحاب الأخدود، كما نقل البغوي عن ابن عباس قوله: إن بطش الله أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد كقوله: «إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (هود: ١٠٢).

ورحم الله ابن كثير؛ فقد قال عن بطش الله: "إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذّبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قويّ، فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب.

وقد ساق القرآن أمثلة لبطش الله بالظالمين حتى تكون عظة وعبرة، فذكر ما كان لقوم نوح من الإغراق، وقوم هود من الريح الباردة شديدة البرد، ولقوم صالح الصيحة التي أبادتهم عن آخرهم، وقوم لوط وحمل مدائنهم إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم واتبعت بحجارة من سجيل منضود وقوم فرعون، وأخذ الله العزيز المقتدر حتى لم يبقَ لهم خبرًا ولا أثرًا.

وأحيلك -أيها القارئ الكريم- إلى سورة هود لترى كيف كان بطش الله بالظالمين، ثم قوله سبحانه: «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (هود: ١٠٢).

قال ابن كثير عند تفسيرها: وكما أهلك الله أولئك القرون الظالمة المُكذّبة لرسلنا كذلك فعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (هود: ١٠٢). وانما كان بطش الله بهم بسبب ظلمهم وطغيانهم؛ قال

تعالى: « فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ » (فصلت: ١٥).

أما فرعون فتجاوز كل الحدود فقال للناس: « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ » (القصص: ٣٨).

وقال لهم: « فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى » (النازعات: ٢٤).

وقال سبحانه: « وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا » (الكهف: ٥٩).

وكم شهدت الأرض في معظم بقاعها وفي معظم عصورها ظلم الظالمين وطغيان الطاغين، فكم أباد الظالمون من البشر قديمًا وحديثًا؛ فقديمًا قال فرعون: « فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ » (طه: ٧١)، وذكر القرآن علوه وطغيانه: « إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ » (القصص: ٤).

وكم من الفراعنة في معظم بقاع الأرض وما الظلم الواقع على أهل فلسطين منا ببعيد، فعلى مرأى من العالم تُباد المباني بمن فيها حتى ولو كانت أماكن لإيواء الشعوب المدنية أو مستشفيات أو مدارس أو غيرها لا لشيء إلا لأنهم مسلمون حتى منعت قوافل المساعدات الغذائية عن الوصول إليهم في عصر يقال له عصر الحريات وتُخصص الميزانيات من الدولة الصديقة للظالمين والمساعدة لهم كما قال الله: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » (الأنفال: ٣٦).

حتى احتاجت غزة لإعادة إعمارها بعد توقف الإبادة إلى أرقام خيالية لإعادة بنائها، وكانت دعوات المستضعفين لا تتوقف ودعوات إخوانهم الذين لا يملكون من الأمر شيء.

وشاء الله تعالى أن يظهر للناس شيئًا من بطشه وانتقامه فيمن يساعدون على الظلم والعدوان بنار تأتي على الأخضر واليابس، وكأنها تقول: إن قوتكم لا تساوي شيئًا أمام قوة القهار: « أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ » (فصلت: ١٥).

إن عقيدة المسلم أن إهلاك الطغاة والظلمة لا يملكه إلا الله: « وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ⑬ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ » (إبراهيم: ١٣-١٤).

فهو سبحانه صاحب الملك لا ينازعه فيه أحد؛ « قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (آل عمران: ٢٦)، فما على المسلم إلا أن يعود إلى ربه ليمكن له في الأرض فهو صاحبها سبحانه: « إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » (الأعراف: ١٢٨).

إن بطش الله بالظالمين ليس قاصرًا على الدنيا؛ فإن عذاب الدنيا قد يكون هينًا، أما عذاب الآخرة فهو أشد وأبقى، قال تعالى: « لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ » (الرعد: ٣٤).

فثق أيها المسلم بنصر الله: « أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ » (البقرة: ٢١٤).

ولتكن سببًا في النصر بامتثالك أداء الله تعالى وفي مقدمتها سلامة العقيدة من الشرك وحسن التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا. فاللهم نصرك الذي وعدت، والحمد لله رب العالمين.

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ (١٠) هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا» **(الأحزاب: ١٠- ١١).**

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخَنْدَق، أقْبَلتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَع الأَسْيال من رُومَة، بَيْنَ الجُرُف وزَغَابَةَ، في عَشَرة آلاف منْ أَحَابيشهمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ من بَني كنانة وَأَهْل تهامَة، وَأَقْبلتْ غطفانُ وَمَنْ تبعهُمْ منْ أَهْل نَجْد، حَتَّى نزلُوا بذَنَب نَقْمَى إلى جَانب أُحُد.

وَخَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَالمُسْلمُونَ حَتَّى جَعلُوا ظُهُورَهُمْ إلى سَلْع، في ثَلاثَة آلاف من المُسْلمينَ، فَضَرَبَ هُنَالك عَسْكَرَهُ، وَالخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القَوْم، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى المَدينَة ابْنَ أُمّ مَكْتُوم. وَأَمَرَ بالذَّرَاريّ وَالنّسَاء فَجُعلُوا في الآطام.

نقض بني قريظة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وَخَرَجَ عَدُوُّ الله حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ النَّضَريُّ، حَتَّى أَتَى كَعْبَ بْنَ أَسَد القُرَظيَّ صَاحبَ عَقْد بَني قُرَيْظَةَ وَعَهْدهمْ، وَكَانَ قَدْ وَادَعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى قَوْمه، وَعَاقَدَهُ عَلَى ذَلكَ وَعَاهَدَهُ. فَلَمَّا سَمعَ كَعْبٌ بحُيَيِّ بْن أَخْطَبَ أَغْلَقَ دُونَهُ بَابَ حصْنه، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْه فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، فَنَادَاهُ حُيَيٌّ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ، افْتَحْ لي، قَالَ: وَيْحكَ يَا حُيَيُّ، إنَّكَ امْرُؤٌ مَشْئُومٌ، وَإنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا، فَلَسْتُ بنَاقض مَا بَيْني وَبَيْنَهُ، وَلَمْ أَرَ منْهُ إلَّا وَفَاءً وَصدْقًا. قَالَ: وَيْحَكَ افْتَحْ لي أُكَلّمْكَ. قَالَ: مَا أَنَا بفَاعل. قَالَ: وَالله إنْ أَغْلَقْتَ دُوني إلَّا خَوْفًا على جَشيشَتكَ (طحين القمح) أَنْ آكُلَ مَعَكَ منْهَا. فَأَحْفَظَ الرَّجُلَ فَفَتَحَ لَهُ. فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ! جئْتُكَ بعزّ الدَّهْر، وَببَحْر طَامٍّ (مرتفع)، جئْتُكَ بقُرَيْش عَلَى قَادَتهَا وَسَادَتهَا، حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ بمُجْتَمَع الأَسْيَال منْ رُومَةَ، وَبغَطَفَانَ عَلَى قَادَتهَا وَسَادَتهَا حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ بذَنَب نَقْمَى إلَى جَانب أُحُد، قَدْ عَاهَدُوني وَعَاقَدُوني عَلَى أَنْ لا يَبْرَحُوا حَتَّى نَسْتَأْصلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: جئْتَني وَالله بذُلّ الدَّهْر، وَبجَهَام (السحاب) قَدْ هَرَاقَ مَاءَهُ، فَهُوَ يَرْعَدُ وَيَبْرُقُ، لَيْسَ فيه شَيْءٌ، فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: وَيْحَكَ يَا حُيَيُّ، فَدَعْني وَمَا أَنَا عَلَيْه، فَإنّي لَمْ أَرَ منْ مُحَمَّد إلَّا صدْقًا وَوَفَاءً. فَلَمْ يَزَلْ حُيَيٌّ بكَعْب يَفْتلُهُ في الذّرْوَة وَالغَارب (أعلى السنام) حَتَّى سَمَحَ لَهُ، عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا منَ الله وَميثَاقًا: لَئنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ

وغَطفان، ولَمْ يُصيبُوا مُحمَّدًا أنْ أدْخلَ معكَ في حصْنكَ حتّى يُصيبني ما أصابكَ. فنقضَ كعْبُ بْنُ أسدٍ عهْدهُ، وبرئَ ممّا كان بيْنهُ وبيْن رسُول الله صلى الله عليه وسلم.

تثبّت الرّسول صلى الله عليه وسلم ممّا بلغهُ عنْ بني قريظة:

فلمّا انْتهى إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ وإلى المُسْلمين بعث رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم سعْد بْن مُعاذ، وسعْد بْن عُبادة، في نفرٍ منْ أصْحابه ليتحرّوْا الخبر، ويعْرفُوا هلْ هُمْ على عهْدهمْ أوْ قدْ نقضُوهُ؟ فلمّا دنوْا منْهُمْ فوجدُوهُمْ على أخْبث ما يكُونُ، وجاهرُوهُمْ بالسّبّ والعداوة، ونالُوا منْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم فانْصرفُوا عنْهُمْ، ولحنُوا إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم لحنًا يُخْبرُونهُ أنّهُمْ قدْ نقضُوا العهْد وغدرُوا، فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عنْد ذلك: اللهُ أكْبرُ! أبْشرُوا يا معْشر المُسْلمين.

وأقام المُشْركُون مُحاصرين رسُول الله صلى الله عليه وسلم شهْرًا، ولمْ يكُنْ بيْنهُمْ قتالٌ لأجْل ما حال اللهُ به من الخنْدق بيْنهُمْ وبيْن المُسْلمين، إلّا أنّ فوارس منْ قُريْش منْهُمْ عمْرُو بْنُ عبْد وُدٍّ وجماعةٌ معهُ أقْبلُوا نحْو الخنْدق، ثُمّ تيمّمُوا مكانًا ضيّقًا من الخنْدق فاقْتحمُوهُ، وجالتْ بهمْ خيْلُهُمْ في السّبْخة بيْن الخنْدق وسلْع، ودعوْا إلى البراز، فانْتدب لعمْرو عليُّ بْنُ أبي طالب-رضي الله عنه- فبارزهُ فقتلهُ اللهُ على يديْه، وانْهزم الباقُون.

اسْتشارةُ الرّسول صلى الله عليه وسلم أصْحابه في مُصالحة زُعماء القبائل:

ولمّا طالتْ هذه الحالُ على المُسْلمين أراد رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يُصالح عُييْنة بْن حصْن، والحارث بْن عوْف، رئيسيْ غطفان، على ثُلُث ثمار المدينة، وينْصرفا بقوْمهما، وجرت المُراوضةُ على ذلك، فاسْتشار السّعْديْن في ذلك فقالا: يا رسُول الله! إنْ كان اللهُ أمرك بهذا فسمْعًا وطاعةً، وإنْ كان شيْئًا تصْنعُهُ لنا فلا حاجة لنا فيه، لقدْ كُنّا نحْنُ وهؤُلاء القوْمُ على الشّرْك بالله وعبادة الأوْثان وهُمْ لا يطْمعُون أنْ يأْكُلُوا منْها ثمرةً إلّا قرًى أوْ بيْعًا، فحين أكْرمنا اللهُ بالإسْلام، وهدانا لهُ، وأعزّنا بك، نُعْطيهمْ أمْوالنا؟ والله لا نُعْطيهمْ إلّا السّيْف، فصوّب رأْيهُما، وقال: إنّما هُو شيْءٌ أصْنعُهُ لكُمْ، لمّا رأيْتُ العرب قدْ رمتْكُمْ عنْ قوْسٍ واحدةٍ.

دوْر نعيم بن مسعود بن عامر في تفريق جمع المشركين:

ثُمّ إنّ الله- عز وجل، ولهُ الحمْدُ- صنع أمْرًا منْ عنْده، خذل به العدُوّ، وهزم جُمُوعهُمْ، وفلّ حدّهُمْ، فكان ممّا هيّأ منْ ذلك أنّ رجُلًا منْ غطفان يُقالُ لهُ: نُعيْمُ بْنُ مسْعُود بْن عامر جاء إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسُول الله! إنّي قدْ أسْلمْتُ فمُرْني بما شئْتُ، فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنّما أنْت رجُلٌ واحدٌ، فخذّلْ عنّا ما اسْتطعْت، فإنّ الحرْب خُدْعةٌ»، فذهب منْ فوْره ذلك إلى بني قُريْظة، وكان عشيرًا لهُمْ في الجاهليّة، فدخل عليْهمْ، وهُمْ لا يعْلمُون بإسْلامه، فقال: يا بني قُريْظة! إنّكُمْ قدْ حاربْتُمْ مُحمّدًا، وإنّ قُريْشًا إنْ أصابُوا فُرْصةً انْتهزُوها، وإلّا انْشمرُوا إلى بلادهمْ راجعين، وتركُوكُمْ ومُحمّدًا، فانْتقم منْكُمْ، قالُوا: فما العملُ يا نُعيْمُ؟ قال: لا تُقاتلُوا معهُمْ حتّى يُعْطُوكُمْ رهائن. قالُوا: لقدْ أشرْت بالرّأْي، ثُمّ مضى على وجْهه إلى قُريْش فقال لهُمْ: تعْلمُون وُدّي لكُمْ، ونُصْحي لكُمْ. قالُوا: نعمْ. قال: إنّ يهُود قدْ ندمُوا على ما كان منْهُمْ منْ نقْض عهْد مُحمّد وأصْحابه، وإنّهُمْ قدْ راسلُوهُ أنّهُمْ يأْخُذُون منْكُمْ رهائن يدْفعُونها إليْه، ثُمّ يُمالئُونهُ عليْكُمْ، فإنْ سألُوكُمْ رهائن فلا تُعْطُوهُمْ، ثُمّ ذهب إلى غطفان: فقال لهُمْ مثْل ذلك، فلمّا كان ليْلةُ السّبْت منْ شوّال بعثُوا إلى اليهُود: إنّا لسْنا بأرْض مُقام، وقدْ هلك الكُراعُ والخُفُّ، فانْهضُوا بنا حتّى نُناجز مُحمّدًا، فأرْسل إليْهمُ اليهُودُ: إنّ اليوْم يوْمُ السّبْت، وقدْ

عَلِمْتُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَنَا حِينَ أَحْدَثُوا فِيهِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّا لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّى تَبْعَثُوا إِلَيْنَا رَهَائِنَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِذَلِكَ، قَالَتْ قُرَيْشٌ: صَدَقَكُمْ وَاللهِ نُعَيْمٌ، فَبَعَثُوا إِلَى يَهُودَ: إِنَّا وَاللهِ لَا نُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَحَدًا، فَاخْرُجُوا مَعَنَا حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا، فَقَالَتْ قُرَيْظَةُ: صَدَقَكُمْ وَاللهِ نُعَيْمٌ، فَتَخَاذَلَ الفَرِيقَانِ.

إرسال الله تعالى الريح على المشركين:

وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَى المُشْرِكِينَ جُنْدًا مِنَ الرِّيحِ فَجَعَلَتْ تُقَوِّضُ خِيَامَهُمْ، وَلَا تَدَعُ لَهُمْ قِدْرًا إِلَّا كَفَأَتْهَا، وَلَا طُنُبًا إِلَّا قَلَعَتْهُ، وَلَا يَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ، وَجُنْدُ اللهِ مِنَ المَلَائِكَةِ يُزَلْزِلُونَهُمْ، وَيُلْقُونَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَالخَوْفَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا اخْتَلَفَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَا فَرَّقَ اللهُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ، دَعَا حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَأْتِيهِ بِخَبَرِهِمْ، فَوَجَدَهُمْ عَلَى هَذِهِ الحَالِ وَقَدْ تَهَيَّئُوا لِلرَّحِيلِ.

استطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر القوم:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ فَتًى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ. قَالَ: وَاللهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِالخَنْدَقِ، وَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ القَوْمُ؟ ثُمَّ يَرْجِعُ، يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الرَّجْعَةَ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ». فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ، وَشِدَّةِ الجُوعِ، وَشِدَّةِ البَرْدِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ القِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي القَوْمِ، فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا». قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي القَوْمِ، وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ، لَا تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرٌ وَلَا نَارٌ وَلَا بِنَاءٌ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ. ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الكُرَاعُ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، بَلَغَنَا مِنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ، ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ عَلَى ثَلَاثٍ، فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ، قَالَ حُذَيْفَةُ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرَحَّلٍ، فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ المِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، وَإِنَّهُ لَفِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الخَبَرَ. وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ فَانْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، كَاظِمِينَ غَيْظَهُمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا.

رُجُوعُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة:

فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم انْصَرَفَ عَنِ الخَنْدَقِ رَاجِعًا إِلَى المَدِينَةِ وَالمُسْلِمُونَ، وَوَضَعُوا السِّلَاحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ» (صحيح البخاري ٤١١٠)، وَكَانَ هَذَا عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صلى الله عليه وسلم، حَيْثُ لَمْ تَغْزُهُمْ قُرَيْشٌ وَلَا غَيْرُهَا بَعْدَ الخَنْدَقِ، وَإِنَّمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم هُوَ الَّذِي سَارَ إِلَيْهِمْ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

مسائل علم التوحيد

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: لقد تناولنا في المقال السابق السنة النبوية كمصدر ثانٍ من مصادر التشريع، ونتكلم في هذا المقال عن حجية السنة النبوية. ويشتمل على النقاط التالية:

(أ) دلالة القرآن الكريم على حجية السنة:

دل القرآن الكريم على أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم حجة يجب العمل بها، وذلك من وجوه متعددة:

الوجه الأول: أن الله-تبارك وتعالى- جعَل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم من طاعته، قال تعالى: «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ» (النساء: ٨٠)، ثم قَرَنَ طاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ» (النساء: ٥٩)، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فأمر تعالى بطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وأعاد الفعل؛ إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالًا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه صلى الله عليه وسلم».

ثم إن الله- تبارك وتعالى- أفـرد بالذكر طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في موضع أخرى، فقال: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ» (الحشر: ٧).

الوجه الثاني: حذَّر الله عز وجل من مخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم وتوعَّد من عصاه بالخلود في النار، وهذه مسألة يجب أن ننتبه إليها، لماذا يحذر الله عز وجل من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم، ويتوعد رب العالمين من عصى النبي صلى الله عليه وسلم بالنار والخلود فيها إذا كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم ليس حجة؟ قال رب العالمين: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣)، قال القرطبي رحمه الله: والفتنة هنا القتل، قاله ابن عباس. وقيل: الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى: «وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا» (الجن: ٢٣)، وقال تعالى: «وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (النساء: ١١٥).

الوجه الثالث: أن الله تعالى جعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان، ومخالفته من علامات النفاق، قال تعالى: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (النساء: ٦٥). فلم يكتف سبحانه في حصول الإيمان بمجرَد التحكيم، بل لا بد من استصحاب الرضا والتسليم، ودفع الحرج والضيق والمنازعة، وهذا يدل على أن كلامه صلى الله عليه وسلم حجة.

الوجه الرابع: قول الحق-تبارك وتعالى- آمرًا عباده بالاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » (الأنفال: ٢٤). فجعل الاستجابة له حياة لهم وهي حياة القلوب بالإيمان، وضدها الموت الذي هو حقيقة الكفر، والاستجابة للنبي صلى الله عليه وسلم تدفعنا إلى أن نعتبر كل ما قاله صلى الله عليه وسلم حجة يجب اتباعه.

الوجه الخامس: أن الله-تبارك وتعالى- أمر بردَ ما تنازع الناس فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ردَهم إلى الله-تبارك وتعالى- قال عز وجل: « فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » (النساء: ٥٩). وجعل ذلك شرطًا في صحة الإيمان؛ إذ قال بعدها: « إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » (النساء: ٥٩). فالمؤمن بالله واليوم الآخر إذا هو الذي يتبع ما جاء في كتاب الله وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعتبر كلام النبي صلى الله عليه وسلم حجة يجب الرجوع إليه عند الاختلاف أو التنازع، وذلك بنص القرآن الكريم.

(ب) دلالة السنة النبوية على حجية السنة:

دلت السنة النبوية من وجوه متعددة على أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم حجة يجب الرجوع إليها. ومن ذلك:

الدليل الأول: ما رواه الترمذي في سننه، عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري! ما وجدنا في كتاب الله، اتبعناه ». هذا نصَ صريح في مسألتنا هذه، حيث حذَر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك سُنته بحجَة الاستغناء عنها بكتاب الله عز وجل.

الدليل الثاني: ما رواه أبو داود في سننه، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة -وفيها-: فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديّين الراشدين، تمسَكوا بها، وعَضوا عليها بالنَواجذ ». وهذا يقتضي بل يلزم منه وجوب الأخذ بسنته صلى الله عليه وسلم بعد مماته؛ فضلًا عن حياته، ويدلَ عليه أيضًا ما قاله صلى الله عليه وسلم في حجَة الوداع: « يا أيها الناس! إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلَوا أبدًا: كتاب الله وسنَتي »، وهو يقتضي أيضًا أن السنة باقية ما بقي الكتاب، ومحفوظة ما حفظ الكتاب.

الدليل الثالث: ما رواه الترمذي في سننه، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « نضَر الله امرأ سمع منَا شيئًا فبلغه كما سمع، فرُبَ مُبلَغ أوعى من سامع »، قال الإمام الشافعي رحمه الله: فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى استماع مقالته، وحفظها، وأدائها دلَ ذلك على أنه لا يأمر أن يُؤدَى عنه إلا ما تقوم به الحجة على ما أدَى إليه؛ لأنه إنما يُؤدَى عنه حلال، وحرام يجتنب، وحدَ يُقام، ومال يُؤخذ ويُعطى، ونصيحة في دين ودنيا.

(جـ) دلالة الإجماع على حجية السنة:

وهذا الإجماع قد ذكره كثير من أهل العلم في أن السنة حجة، ومن هؤلاء: ما قاله الإمام الشافعي (رحمه الله تبارك تعالى): «ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدًا أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة، وصنع ذلك الذين بعد التابعين والذين لقيناهم، كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة، يُحمد من تبعها، ويُعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارقًا لسبيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة».

(د) دلالة النظر الصحيح في حجية السنة:

كون النبي صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين، يقتضي تصديقه في كل ما يخبر به، وطاعته صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمر به، ومن المسلم به أنه قد أخبر وحكم بأمور زائدة على ما في القرآن الكريم، فالتفريق بينها وبين القرآن في وجوب الالتزام بها والاستجابة لها، تفريق بما لا دليل عليه، بل هو عين التحكم، فلزم من ذلك أن يكون خبره صلى الله عليه وسلم واجب التصديق، وكذا أمره واجب الطاعة.

ظاهرة إنكار حجية السنة، ورد شبه المنكرين

ويشتمل على النقاط التالية:

(أ) تاريخ ظاهرة إنكار السنة، وبوادرها في العصور الأولى:

لقد مرَ بنا حديث الأَريكة، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري! ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه». ففي هذا الحديث تحذير صريح عن مخالفة السنة، وفيه أيضًا إشعار بأنه سيظهر في هذه الأمة من ينكر حجية السنة، مدعيًا الاكتفاء بالقرآن الكريم.

وظاهرة إنكار حجيّة السنة لها بوادر في العصور الأولى:

فقد روى الحاكم في مستدركه عن الحسن أنه قال: بينما عمران بن حصين يحدّث عن سنة نبيّنا صلى الله عليه وسلم إذ قال له رجل: يا أبا نجيد! حدّثنا بالقرآن -يعني: حدثنا بالقرآن- ودعك من السنة- هذا هو المراد من هذا القول، فقال له عمران رضي الله عنه: أنت وأصحابك تقرءون القرآن، أكنت محدّثي عن الصلاة وما فيها؟ وعن حدودها؟ أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر، وأصناف المال؟ ولكن قد شهدتُ وغبتَ أنتَ، ثم قال: فرض علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزكاة كذا وكذا. وقال الرجل: أحييتني أحياك الله، قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين.

وقال أيوب السختياني رحمه الله: إذا حدّثت الرجل بالسُّنة فقال: دَعْنَا من هذا، وحدّثنا من القرآن، فاعلم أنه ضالّ مضلّ.

فهذا دليل على أن هناك تيارًا فكريًا يقف من السنة موقف الإنكار قد بدأ ظهوره في تلك الآونة، فاعتمدوا شبهات المتقدمين من المعتزلة والرافضة وغيرهم، ثم توسعوا فيها، وزادوا عليها، حتى اتخذوا ذلك سبيلًا إلى هدم الدين، واقصائه عن واقع الحياة، ولا شك أن المبشرين والمستشرقين يفرحون بهذه الشبهات، وهذا الكلام الذي يمكن أن يصدر عن هذه الفرق الضالة المبتدعة كالرافضة، والخوارج، والمعتزلة، وغير هؤلاء الذين كانوا يردون السنة، ويقدمون العقل على ما صح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

الإسراء والمعراج

الرباط السرمدي

بين المسجد الأقصى والحرم المكي

إعداد د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد: فيقول عز وجل: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ » (الإسراء: ١). وكلمة سُبْحان: مفعول مطلق، منصوب بفعل محذوف: أي أُسبح الله سبحانًا، وكلمة أسْرى أي: سار ليلاً. والتعبير بلفظ بعَبْده: يدل على أن مقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها. إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لعبّر المولى سبحانه به في هذا المقام العظيم.

تعريف الإسراء والمعراج:

الإسـراء لغة من السَّرى، وهو السير ليلاً، ومنه قوله تعالى: « وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ » (الشعراء: ٥٢). « وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ » (طه: ٧٧). والإسراء الذي نعنيه هو: رحلة أرضية تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس.

أما المعراج: فهو لغة الصعود، ومنه قوله تعالى: « يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ » (سبأ: ٢). والمعراج الذي نعنيه هو: الرحلة السماوية التي تمت بقدرة الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى السماوات العلا؛ حيث سدرة المنتهى، ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام.

والمولى سبحانه وتعالى يلفت أنظار المؤمنين إلى أن قضية فلسطين لا ينبغي الغفلة عنها ولا التفريط فيها، ويؤكد سبحانه وتعالى على الارتباط الوثيق بين مكة والقدس، لنعلم أنه كما لا يمكن للأمة أن تقبل بالعدوان على المسجد الحرام، فكذلك لا يجوز التفريط في المسجد الأقصى. وهذه من أهم العبَر التي نخرج بها من حادثة الإسراء والمعراج، وكلما نسيت الأمة الإسلامية أو كادت أن تغفل عن المسجد الأقصى السليب؛ تأتي ذكرى الإسراء

والمعراج لتوقظ الأمة، ولتؤرق ضمير أبنائها.

وأعداء الأمة يعلمون ذلك يقينًا ويدركون خطره عليهم، ولذلك استعانوا بأذنابهم ممن ينتسبون إلينا، ويتكلمون بلساننا، ليخرج علينا من بينهم أحد المؤسسين لكيان إلحادي لينكر المعراج، وأن الذي ورد في القرآن هو الإسراء فقط، وليزعم أن الإسراء لم يكن إلى المسجد الأقصى بالقدس.

الزعم بأن الإسراء لم يكن إلى المسجد الأقصى:

خرج علينا أحد الأدعياء المتعالمين يزعم أن الإسراء لم يكن إلى المسجد الأقصى، وإنما كان إلى مسجد بالجِعرَّانة بين مكة والطائف! وهذا الكلام ترديد حرفي لأراجيف الدكتور "مردخاي كيدار" أحد أساتذة الجامعات في الكيان الصهيوني. ولذلك لا عجب أن تتناقله وسائل الإعلام الصهيونية وتحتفي به. وهذا الهراء يخالف الإجماع، ويكفي لإبطاله حديث جابر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ-وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ". فلو لم يكن الإسراء إلى المسجد الأقصى لما كذبت قريش النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان لوصف النبي صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس معنًى.

ويخرج غيره ليزعم أن الإسراء والمعراج إنما كان بالروح فقط أو رؤيا منامية؛ رغم اتفاق جماهير الفقهاء على أن الإسراء والمعراج حدث بالروح والجسد، وأنهما كانا في اليقظة وفي ليلة واحدة.

ويذهب آخر من هؤلاء لإنكار حدوث رحلة الإسراء والمعراج لتعارضها مع القدرة البشرية، ويقول قائلهم: كيف يخرج النبي من الغلاف الجوي ليرقى في السماء وليس بعد الغلاف الجوي الأوكسجين الذي لا يمكن للإنسان أن يعيش بغيره، ومنهم مَن اتخذ من الاختلاف في تحديد وقت الإسراء والمعراج ذريعة لإنكاره. وهو ما يدعونا إلى أن نعرض للإسراء والمعراج بما يتسع له هذا المقام، ونفنِّد في ثنايا ذلك لهذه الشبهات التي يثيرها هؤلاء المتعالمون وذلك فيما يلي:

إنكار المعراج لعدم ذكره في القرآن الكريم:

يذهب بعض منكري السنة إلى إنكار المعراج بزعم أنه لم يُذكر في القرآن الكريم، بخلاف الإسراء، ويرد عليهم بأن السنة مثلها كالقرآن في ثبوت الأحكام والعقائد، وقد تواترت الأحاديث بإثبات المعراج، كما أن المعراج ورد في قوله عز وجل في سورة النجم: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)» (النجم: ١١- ١٨).

والمقصود بقوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل-عليه السلام- على صورته التي خلقه الله عليها مرتين: الأولى عقب فترة الوحي، والثانية: ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى.

الزعم بأن الإسراء والمعراج كان بالروح فقط أو رؤيا منامية:

يروِّج البعض ممن يجدون في أنفسهم حرجًا من التسليم بمعجزات الأنبياء إلى أن الإسراء والمعراج كان مجرد رؤية منامية، ويحاولوا الاستدلال بقوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الإسراء: ٦٠. للإيهام بذلك، وهذا زيغ عن الحق، فهذه رؤية بصرية رآها النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه كما قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: "هي رؤيا عين أُريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به". لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة، ولا سببًا لتكذيب قريش؛ لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار؛ لأن المنام قد يُرى فيه ما لا يصح. فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب.

كما أن التسبيح في قوله تعالى في صدر سورة

الإسراء: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) يدل على عظم الحدث، فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء، ولما كان لذكر التسبيح مناسبة.

وأيضاً فإن قول المولى تعالى: (أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) يؤكد أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد؛ لأن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد.

ولو كان الإسراء والمعراج بالروح فقط وكان رؤيا منام؛ لما كان مستعظمًا، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، ولما ارتد بعض من أسلم.

كما أن قوله تعالى: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)، يؤكد أن الإسراء والمعراج كان بالجسد؛ لأن البصر من آلات الجسد لا الروح.

كما أن حديث مالك بن صعصعة في الصحيحين ورد به أن النبي صلى الله عليه وسلم حُمل على البراق، وهو ما ينفي أن الإسراء والمعراج كان بالروح، ويؤكد أنه كان بجسد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فركوبه صلى الله عليه وسلم على البراق يدل على أن الإسراء بجسمه وإلا لما احتاج إلى مركب يركب عليه، إذ الدوابُ لا تحمل إلا الأجسادَ.

كما أن وصف النبي صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس لقريش يؤكد أيضًا أنه كان بالروح والجسد، ففي حديث جابر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ-وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ".

وقد نقل جمع من الفقهاء اتفاق العلماء على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنهما كانا في اليقظة بجسده وروحه منهم الطبري، وابن حجر وغيرهم.

الزعم بأن القرآن ينفي إمكانية رقي النبي صلى الله عليه وسلم للسماء:

نشرت إحدى الصحف مقالًا لبعض المتعالمين يقول: إن حادثة المعراج محض خرافات، ولا يمكن أن تحدث لبشر، ويلبس على الناس بقوله: إن القرآن ينفي إمكانية رقي الرسول صلى الله عليه وسلم للسماء لقوله عز وجل: (أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) الإسراء: ٩٣. ويُلاحَظ هنا عدم أمانة هذا المتعالم في عرض الدليل الموهم، وتلبيسه بما يُوهم أن الجواب القرآني (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً) خاص بمطلب واحد من مطالب الكفار والذي اقتصر على ذكره، وهذا فساد منه في الاستدلال، وعدم أمانة علمية، وذلك لأن مطالب المشركين بينها القرآن الكريم في قوله عز وجل: (وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) (سورة الإسراء: ٩٠- ٩٣). فهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم-وهو بشر- أن يفجر الأرض ينابيع وأنهارًا، وأن يسقط السماء قطعًا، وأن يأتي بالله عز وجل: (تعالى ربنا عن ذلك علوًا كبيرًا)، وأن يأتي بالملائكة! وأن يصعد في السماء بغير سلم ولن يؤمنوا لرقيه في السماء، ولو رأوا ذلك بأعينهم حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم منها بكتاب موجَّه إلى كل كافر على حده، ويبين ذلك قوله تعالى: (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً) المدثر:٥٢.

ولا شك أن ذلك ليس من خصائص البشر، ولا في إمكانهم، ومن ثم جاء الجواب منصبًا على مجموع هذه المطالب، لا على آحاد كل منها؛ فالجواب وهو

قوله سبحانه: (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا)؛ واردٌ على مجموع ما طلبه المشركون تعنتًا وجحودًا وإنكارًا.

وإلا ففي هذه المطالب ما هو ممكن عادة فلا استحالة في أن يكون له جنة من نخيل أو عنب، كما أن الماء قد نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، كما في صحيح البخاري، فلا يستحيل تفجير نبع من الأرض كما حدث مع كليم الله موسى، ولا استحالة- أيضًا- في أن يكون له جنة من نخيل، ولكن لما كانت مطالبهم إنما هي من باب المبالغة في العناد والتعنت، فقد جاء الجواب بما يدل على التعجب من كلامهم بكلمة (سبحان ربي)، ثم بالاستفهام الإنكاري (هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا)، والمشتمل على صيغة الحصر المقتضية قصر نفسه على البشرية والرسالة قصرًا إضافيًا، فهو ليس ربًا متصرفًا يخلق ما يطلب منه، فكيف يتصور أن يأتي بالله والملائكة، وكيف يخلق في الأرض ما لم يخلق فيها؟!

ثم إذا كان الرقي في السماء يستحيل للبشر بأنفسهم؛ فإن النبي لم يرق من تلقاء نفسه، وإنما المولى سبحانه هو الذي أسرى به صلى الله عليه وسلم، ولذا يقول تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)، ومن ثم فالاستدلال مع تهافته فهو في غير محله.

إنكار المعراج بزعم تعارضه مع القدرة البشرية:

ذهب البعض إلى إنكار حدوث الإسراء والمعراج بسبب تعارضها مع القدرة البشرية، ويقول قائلهم: كيف يخرج النبي من الغلاف الجوي ليرقى في السماء وليس بعد الغلاف الجوي الأوكسجين الذي لا يمكن للإنسان أن يعيش بغيره. والأمر المثير للتعجب أن هذه الشبهات تثار في عصر يمكث فيه رواد الفضاء لشهور وسنوات عديدة في محطات فضائية خارج الغلاف الجوي، فإذا كان هذا صنيع البشر، فكيف برب البشر جل في علاه؟! وهل يتعجبون من قدرة الله عز وجل؟!

الإسراء والمعراج من جنس المعجزات التي وقعت للأنبياء من قبل:

الذين ينكرون حدوث الإسراء والمعراج حقيقة والذين يزعمون أنها رؤية بالمنام: هل ينكرون قدرة الله عز وجل أم أنهم كارهون لاصطفاء المولى سبحانه للنبي صلى الله عليه وسلم؟

والذين ينكرون حدوث المعراج هل ينكرون خلق آدم وحواء من غير أب وأم، وخلق عيسى ابن مريم بغير أب أكبر من هذه المعجزة. وإن كانوا ينكرون جنس المعجزات وتنكرها عقولهم؛ فهل ينكرون طوفان نوح، وانفجار عيون الأرض وبلوغ الأمواج الجبال؟ (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ⑩ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) (القمر: ١٠- ١٢).

وهل ينكرون خلق ناقة صالح من الصخر، وأنها كانت تشرب ماء ثمود بمفردها في يوم واحد وتشرب القبيلة بأكملها الماء في اليوم التالي، وأنها تسقيهم جميعا من لبنها؟ (قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (الشعراء: ١٥٥- ١٥٦).

وهل ينكرون أن النار تعطلت خاصيتها فلم تحرق خليل الرحمن إبراهيم صلى الله عليه وسلم؟ (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) (سورة الأنبياء: ٦٨- ٧٠).

وألم يعلموا أن المولى سبحانه أحيى له الطير بعدما ذُبحت واختلطت أشلاؤها؟ (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (سورة البقرة: ٢٦٠).

وأن يعقوب شمَّ قميص يوسف من مئات الكيلو مترات؟ « وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ

رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ » (يوسف: ٩٤).

وأنـه لما وضع القميص على وجهه ردَّ الله عز وجل عليه بصره؛ (ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ » (يوسف: ٩٣).

وهل يمارون في أن عصا موسى انقلبت حية تسعى، وأنه ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا، وضرب بها البحر فانفلق إلى نصفين؛ كل نصف كالجبل العظيم الأشم، وأنه ضرب الميت بجزء من البقرة فأحياه المولى سبحانه ليخبر عن قاتله ثم يموت مرة أخرى.

وهـل ينكرون أن نبي الله يوشع بـن نـون قال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبسها الله حتى فتح الله عليه. (متفق عليه).

وهل ينكرون أن عيسى كان يصنع طيرًا من الطين فإذا نفخ فيه أحياه المولى سبحانه، وأمه كان يبرأ الأبرص والأكمه الذي وُلد أعمى لم يُبصر قط، وأن المولى سبحانه أحيا له الموتى؟ (أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ) (آل عمران: ٤٩).

وهل ينكرون أن الجبال والطير كانت تسبح مع نبي الله داود، وأن الله سبحانه ألان له الحديد يُشكَله كما يشكل الخباز العجين بيديه (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ » (سبأ: ١٠).

وأن المولى سبحانه سخَّر الرياح، وأذاب الله له النحاس ليُشكَله كيف يشاء (وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ) (سبأ: ١٢)، كما سخر سبحانه له الجن يعملون بأمره في البناء ويغوصون في البحار يستخرجون له من كنوزها (وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ » (سورة ص: ٣٧).

وإذا كانت هذه المعجزات لا يجحدها إلا الزنادقة والملاحدة، فلماذا إنكار الإسراء والمعراج خصوصًا، هل إنكارًا لقدرة الله سبحانه؟ أم بغضًا لرسوله وضنًا عليه بهذه المنزلة؟ ولا ريب أن من رأى ذلك كان مارقًا من ملة الإسلام.

ولنتأمل موقف نبي الله سليمان لما طلب عرش ملكة سبأ (قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ) (سورة النمل: ٣٨-٤٠).

فإذا كان عفريت الجن يستطيع أن يذهب من فلسطين حيث سليمان إلى اليمن حيث عرش ملكة سبأ، ويحمله ويرجع به مرة أخـرى إلى فلسطين في زمن يسير، وإذا الذي كان عنده علم من الكتاب (وقيل هو سليمان وقيل غيره والله تعالى أعلم به) قد جاء بالعرش في ثوان معدودة؛ وهو أمر لا يستوعبُ العقلُ كيفية حدوثه حتى الآن رغم التقدم العلمي، فإذا كان هذا هو صنيع خلق ضعيف من خلق الله عز وجل، فكيف بصنع الخالق القادر العزيز القهار سبحانه وتعالى، فهل يعجزه (حاشاه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا) حادثة المعراج؟!

الطعن في الإسراء والمعراج للاختلاف في وقت حدوثه:

طعن الزنادقة في الإسراء والمعراج منكرين لها بالكلية، بينما طعن البعض في المعراج، وذلك للاختلاف في تعيين الوقت الـذي وقعت فيه حادثة الإسراء والمعراج، فقد تعدَّدت الأقوال فيما يتعلَّق بالوقت الـذي وقعت فيه حادثة الإسـراء والمـعـراج؛ فقال الطبري: إنَّ الإسـراء والمعراج كان في ذات السَّنة التي أنزل فيها الوحي

على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما ذهب ابن سعد، وابن حزم، والنووي إلى أنَّها وقعت قبل الهجرة بعام، فيما قال ابن الجوزي: إنَّها كانت قبل الهجرة بثمانية أشهر. بينما قال ابن عبد البرّ: إنّ الحادثة وقعت قبل الهجرة بسنةٍ وشهرين. وقال السدّي: وقعت الحادثة قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر.

وبناءً على هذه الأقوال فقد كانت حادثة الإسراء والمعراج في شهر شوال، أو في رمضان، أو في القعدة، أو في شهر ربيع الأول، ونُقل عن ابن سعد أنّ حادثة الإسراء والمعراج وقعت في اللّيلة السّابعة عشر من رمضان، أما ابن المنذر فيرى أنها كانت في ليلة سبعٍ وعشرين من ربيع الآخر الموافق يوم الاثنين، وجزم ابن الأثير وجمع منهم النووي بأنها كانت في شهر ربيع الأول. ونقله الصالحي سبل الهدى والرشاد عن الإسنوي في المهمات، والزركشي، وعن النووي، وذكر أن ابن حزم ادعى الإجماع على ذلك.

بينما ذهب السيوطي إلى أنَّها وقعت في شهر رجب، وانتقل هذا القول عنه حتى اشتهر بين الناس.

لا يعنينا متى وقع الإسراء والمعراج ولا يترتب على ذلك عمل:

ننوّه إلى أننا لا ينبغي أن ننشغل متى وقع الإسراء والمعراج، ولا يعنينا في قليل أو في كثير، ولا يترتب عليه عمل، وإنما نُوقن أنها وقعت بلا ريب وبلا شك، حتى صارت علمًا على عقيدة أهل السنة، وفي ذلك يقول الطحاوي في عقيدته: "والمعراج حق، وقد أسري بالنبي وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى؛ فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى".

وتواتر الروايات في أحاديث الإسراء والمعراج، وجمع هذه الأحاديث الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) عن جمع من الصحابة منهم: عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وعائشة، وعبد الله بن عمرو، وجابر، وحذيفة، وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة، وسمرة بن جندب، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب، وغيرهم..... وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة.

وعن هذه الأحاديث يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره: "... فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.....".

الارتباط الوثيق بين مكة والقدس

من أهم دروس الإسراء والمعراج:

من أهم دروس التي نخرج بها من حادثة الإسراء والمعراج: التأكيد على الرباط الوثيق بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، والدلالة على المكانة العظيمة للمسجد الأقصى عند الله عز وجل، وعلى مبلغ أهمية هذه الأرض المباركة، والتي تعتبر بمثابة مقياس لعز الأمة الإسلامية حينما يكون المسجد الأقصى بيد أبنائها؛ أو لذلها حينما يكون بيد أعدائها.

نسأل الله سبحانه أن يُحرّره من دنس الصهاينة المعتدين؛ وأن يرد عنه كيد الكائدين وعدوان الظالمين المعتدين وعن أرض المحشر؛ أرض الرباط إلى يوم الدين؛ وعن أرض الكنانة، وعن سائر ديار الإسلام... اللهم آمين؛

والحمد لله رب العالمين.

التيسير على المعسر والجزاء من جنس العمل

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنْيا، نَفَّسَ اللَّهُ عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يومِ القِيامَةِ، ومَن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيا والآخِرَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، واللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أخِيهِ، ومَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ، ويَتَدارَسُونَهُ بيْنَهُمْ؛ إلَّا نَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ، ومَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ". (صحيح مسلم ٢٦٩٩، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنه كُرْبَةً من كُرُباتِ يومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يومَ القِيامَةِ. (صحيح البخاري ٢٤٤٢، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه).

يُستفاد من هذا الحديث أن الجزاء من جنس العمل؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن، وقوله: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا.

قوله: "مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنْيا":

الكربة: هي الشدة العظيمة التي تُوقِع صاحبها في الكرب، وتنفيسها أن يخفف عنه منها. والتفريج أعظم من ذلك، وهو أن يزيل عنه الكربة بالكلية؛ فجزاء التنفيس التنفيس، كما في حديث أبي هريرة

وجزاء التفريج التفريج؛ كما في حديث ابن عمر.

ولم يقل: من كرب الدنيا والآخرة كما قيل في

التيسير والستر؛ وقد قيل في مناسبة ذلك: إن الكرب هي الشدائد العظيمة، وليس كل أحد يحصل له ذلك في الدنيا، بخلاف الإعسار والعورات المحتاجة إلى الستر، فإن أحدًا لا يكاد يخلو في الدنيا من ذلك.

وقيل: لأن كرب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة كلا شيء، فادخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده، لينفس به كرب الآخرة.

قوله: "ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة".

وهذا يدل على أن الإعسار قد يحصل في الآخرة، وقد وصف الله يوم القيامة بأنه يوم عسير وأنه على الكافرين غير يسير؛ قال تعالى: «وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا» (الفرقان: ٢٦)؛ فدلَّ على أنه يسير على غيرهم من المؤمنين بتيسير الله عز وجل لهم.

والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين: إما بإنظاره إلى الميسرة، وذلك واجب؛ قال تعالى: «وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ» (البقرة: ٢٨٠)؛ وإما بالوضع عنه والتصدق عليه إن كان عاجزًا عن السداد.

قوله: "ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة".

قال بعض السلف: "أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت أقوامًا كانت لهم عيوب، فكفُّوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم".

قال ابن رجب: "واعلم أن الناس على صنفين: أحدهما: من كان مستورًا لا يُعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة، أو زلة، فإنه لا يجوز كشفها، ولا هتكها، ولا التحدث بها، لأن ذلك غيبة محرمة.

ومثل هذا لو جاء تائبًا نادمًا وأقر بحدٍّ، ولم يُفسِّره، لم يُستفسر، بل يُؤمر بأن يرجع ويستر نفسه كما لم يَستفسر النبي الشخص الذي قال: "أصبتُ حدًّا، فأقِمْه عليَّ".

والثاني: من كان مشتهرًا بالمعاصي، معلنًا بها لا يبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له: فهذا هو الفاجر المُعلن، وليس له غيبة.

ولو تاب أحد من الصنف الأول، كان الأفضل له أن يتوب فيما بينه وبين الله تعالى، ويستر على نفسه.

وأما الصنف الثاني: فقيل: إنه كذلك، وقيل: بل الأولى له أن يأتي الإمام، ويقر على نفسه بما يوجب الحد حتى يُطهِّره.

قوله: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"

وفي حديث ابن عمر مرفوعًا: "أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخله على مسلم، تكشفُ عنه كُربةً، أو تقضي عنه دَيْنًا، أو تطردُ عنه جوعًا، ولأنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجة: أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ في هذا المسجد شهرًا، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضيَه أمضاه: ملأ اللهُ قلبَه يومَ القيامة رضًا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيَها له: ثبَّتَ اللهُ قدميه يومَ تزولُ الأقدامُ". قال مجاهد: صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه، فكان يخدمني.

وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم.

وفي "الصحيحين" عن أنس، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر، فمنا الصائم، ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصُّوَّام وقام المفطرون، وضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "ذهب المفطرون اليوم بالأجر".

قوله: "ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة"

وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحسي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل حفظه، ومدارسته، ومذاكرته، ومطالعته، وكتابته، والتفهم له، ونحو ذلك.

وقوله: "سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة"

قد يراد بذلك أن الله يُسهّل له العلم الذي طلبه، وسلك طريقه، وييسره عليه، ويسر له العمل به فإن العلم النافع طريق موصل إلى الجنة.

وقد يدخل في ذلك أيضًا تسهيل طريق الجنة الحسي يوم القيامة-وهو الصراط-، وما قبله وما بعده من الأهوال.

فائدة: العلم قسمان:

أحدهما: ما كان ثمرته في قلب الإنسان، وهو العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله المقتضية لخشيته، ومهابته، وإجلاله، والخضوع له، ومحبته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، ونحو ذلك، فهذا هو العلم النافع الذي يُورث صاحبه خشية الله.

والثاني: ما يتعلمه الانسان ليبرز به ويعلو شأنه في الدنيا، وهذا أول مَن تُسعر به النار يوم القيامة.

قال سلفنا الصالح: "إنما العلم الخشية: قال عز وجل: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (فاطر: ٢٨)؛ قال ابن مسعود: "كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلاً".

وقال الحسن: "العلم علمان: علم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب، فذاك العلم النافع".

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملاً متقبلاً، ونعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يُستجاب لها.

قوله: "وما جلس قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم".

هذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته، وهذا إن حُمل على تعلم القرآن وتعليمه، فلا خلاف في استحبابه؛ وفي الصحيح: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". قال أبو عبد الرحمن السلمي: "فذاك الذي أقعدني في مقعدي هذا".

وان حُمل على ما هو أعم من ذلك، دخل فيه الاجتماع في المسجد على دراسة القرآن وسائر العلوم الشرعية. فعن أنس قال: "كانوا إذا صلوا الغداة، قعدوا حلقًا حلقًا، يقرءون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن، ويذكرون الله عز وجل".

وعن الأوزاعي أنه سئل عن الدراسة بعد صلاة الصبح، فقال: أخبرني حسان بن عطية أن أول من أحدثها في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل المخزومي في خلافة عبد الملك بن مروان، فأخذ الناس بذلك. وقد أنكر ذلك مالك على أهل الشام.

قال زيد بن عبيد الدمشقي: قال لي مالك بن أنس: بلغني أنكم تجلسون حلقًا تقرؤون، فأخبرته بما كان يفعل أصحابنا، فقال مالك: عندنا كان المهاجرون والأنصار ما نعرف هذا.

وكان مالك يقول: "الاجتماع بكرة بعد صلاة الفجر لقراءة القرآن بدعة، ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا العلماء بعدهم على هذا، كانوا إذا صلوا يخلو كل بنفسه، ويقرأ، ويذكر الله عز وجل، ثم ينصرفون من غير أن يكلم بعضهم بعضًا؛ اشتغالاً بذكر الله.

وقال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: لم تكن القراءة

في المسجد من أمر الناس القديم، وأول من أحدث ذلك في المسجد الحجاج بن يوسف.

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن جزاء الذين يجلسون في بيت الله يتدارسون كتاب الله أربعة أشياء:

تتنزل السكينة عليهم

والسكينة من السكون وهدوء النفس وسلامة القلب وانشراح الصدر، وفي "الصحيحين" عن البراء بن عازب، قال: "كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس، فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له؛ فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن.

وتغشاهم الرحمة

قال الله تعالى: «إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ» (الأعراف: ٥٦).

وأخرج الحاكم من حديث سلمان أنه كان في عصابة يذكرون الله تعالى، فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما كنتم تقولون؟ فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم، فأردت أن أشارككم فيها.

وتحفهم الملائكة

وهذا مذكور في الأحاديث: ففي حديث أبي هريرة: "فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا".

ويذكرهم الله فيمن عنده

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم".

وقد قال الله تعالى: «فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ» (البقرة: ١٥٢).

وذكر الله لعبده: هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاته به وتنويهه بذكره.

قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ» (الأحزاب: ٤١-٤٣).

قوله: "ومَن بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه"

معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة؛ قال تعالى: «وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟» (الأنعام: ١٣٢)؛ فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله تعالى، لم يسرع به نسبه، فيبلغه تلك الدرجات، فإن الله تعالى رتَّب الجزاء على الأعمال، لا على الأنساب؛ قال تعالى: «فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ» (المؤمنون: ١٠١).

وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال: «وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ» (آل عمران: ١٣٣- ١٣٤).

وقال: «إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ» (المؤمنون: ٥٧-٦١).

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا".

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك. والحمد لله رب العالمين.

التوكل على الله تبارك وتعالى

إعداد **أ. عبد العزيز مصطفى الشامي**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فإن التوكل على الله تبارك وتعالى من أعمال القلوب المهمة، التي تدل على صدق إيمان المسلم، وتعلقه بربه سبحانه وتعالى، وتفويضه الأمور إليه، وافتقاره إلى معيته ونصره وتأييده، وقضاء حوائجه، واليقين بأن الخير كله بيده، ومفاتيح العطايا والأرزاق بإذنه، فيعيش المسلم المتوكل على ربه راضيًا مستعينًا بربه في كل أموره، آخذًا بالأسباب، راضيًا عن أقدار الله تبارك وتعالى.

ولذا كان التوكل على الله تعالى وصدق الاعتماد عليه، منزلة عظيمة من منازل العبودية لله رب العالمين، وتشتد الحاجة إلى التوكل على الله في ظل التقدم المادي الملموس، وسيطرة ضغوط الحياة على الكثير، ولذا ما أحوج المسلمين اليوم إلى التعبد بهذه العبودية، ولزومها في مسيرتهم في دروب الحياة. فلو حقق العبد المسلم التوكل على الله، وأخذ بالأسباب في كل شؤونه، لتغيرت أمور حياته وتيسرت له الأسباب، فكم من عبدٍ فوّض أمره لله فكفاه الله ما أهمه!

وسر العبودية في التوكل على الله أنه دليل على صحة إيمان المسلم وصلاح قلبه، فالتوكل اعتراف العبد بربوبية الله، وتسليمه كل أموره للخالق الواحد، واليقين بأنه المتصرف بجميع الأمور، والمدبر الوحيد لجميع الأحوال، صغيرها وكبيرها.

والمتأمل في أحوال كثير من المسلمين اليوم يجد بعض صور الانحراف في باب التوكل على الله؛ فبعضهم عندهم غلو في الأسباب ويعتمدون عليها، وانصرفت قلوبهم بالكلية إليها، والتفتت قلوبهم عن المسبب والخالق؛ حتى صار بعض الناس يعتقد الشفاء بالطبيب الحاذق، وحصول الرزق بالوظيفة، وحصول الأمن بإجراءات السلامة، وحماية الممتلكات بالتأمين، وهذا من تأثير سيطرة الحياة المادية ومظاهر المدنية.

كما أن كثيرًا من المسلمين اليوم مُقصّرون في حُسن توكلهم على الله تعالى، غافلة قلوبهم عن هذا الأصل العظيم، وعظيم فائدته. أما المؤمن الحق فهو عظيم التوكل على الرزاق؛ لعظم يقينه بقدرة الله وعلمه ورحمته ولطفه وسعة رزقه، فالتوكل تابع لليقين؛ كلما زاد اليقين في قلب المؤمن زاد توكله على الرحمن، وإذا نقص اليقين نقص التوكل.

تعريف التوكل على الله:

التوكل على الله: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، والاعتقاد بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه سبحانه وتعالى. وقال سعيد بن جبير: "التوكل جماع الإيمان"؛ قال تعالى: «وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (المائدة: ٢٣)؛ فهو حال المؤمن في جميع الأحوال والأحيان. (العلوم والحكم لابن رجب: ص٤٠٩).

وقال الجرجاني رحمه الله: التوكل هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس (التعريفات ص٧٤).

قال سعيد بن جبير رحمه الله: "التوكل على الله نصف الإيمان".

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به".

والتوكل عمل قلبي ليس من أعمال الجوارح، قال الإمام أحمد رحمه الله: "التوكل عمل القلب".

والتوكل على الله يعني تفويض الأمر إليه سبحانه.

وتعلّق القلوب بالله سبحانه من أعظم الأسباب التي يتحقق بها المطلوب ويندفع بها المكروه، وتُقضى الحاجات، وكلما تمكنت معاني التوكل من القلوب؛ تحقق المقصود بشكل أفضل.

التوكل على الله في القرآن والسنة:

التوكل على الله تعالى عبودية وعمل جليل لا يستغني عنه العبد المسلم في سائر أحواله. وقد جاء الأمر به في كتاب الله على أوجه مختلفة، وكذلك جاء في السُّنة النبوية المطهرة.

ففي القرآن الكريم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين بالتوكل عليه؛ فقال: «وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ» (الشعراء: ٢١٧-٢١٩). ووعد بكافة من يتوكل عليه، فقال تعالى: «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ» (الطلاق:٣)، وفي مقام العبادة قال تعالى: «فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ» (هود: ١٢٣)، وفي مقام الدعوة قال تعالى: «فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ» (التوبة: ١٢٩).

وفي مقام الرزق قال الله: «وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ» (الطلاق: ٢، ٣).

وفي مقام الحكم والقضاء قال الله: «وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (الشورى: ١٠).

وفي مقام الجهاد: «إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ» (آل عمران: ١٦٠).

وفي مقام الهجرة والسفر: «وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (النحل: ٤١، ٤٢).

وفي مقام العهود والمواثيق: «قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى» (يوسف: ٦٦).

وفي كل ما يقوله الإنسان ويفعله ويعزم عليه يتوكل فيه على الله: «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (آل عمران: ١٥٩)، وقال تعالى: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (الطلاق: ٣)، والقرآن مليء بالآيات التي تحث على التوكل وتدعو إليه.

أما في السنة المطهرة: فقد ثبت عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا" (رواه الترمذي والنسائي).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في بيان صفات السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: "هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون" (صحيح البخاري).

وفي سنن الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله، وتوكلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله»: قال: «يُقال حينئذ هُديتَ وكُفيتَ ووُقيتَ فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي».

التوكل والأخذ بالأسباب:

من مقتضى التوكل وشرط صحته: العمل بالأسباب النافعة المأذون بها شرعًا؛ لأن الشارع الحكيم ربط بين التوكل والعمل بالأسباب، فلا يُجزئ التوكل، ولا ينفع العبد إلا بالأخذ بالأسباب، ولا تنافي مطلقًا بين التوكل والعمل بالأسباب؛ قال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (الملك:١٥)، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ» (النساء من الآية:٧١)؛ فأمر بالمشي والسعي وأمر بأخذ الحذر والاستعداد للعدو.

ولذا فالتوكل على الله تعالى بمعناه الصحيح هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب المشروعة، ولذا كان الأخذ بالأسباب هو هدي سيد المتوكلين على الله -صلوات الله وسلامه عليه- في جميع أموره؛ إذ عدم الأخذ بالأسباب قَدْح في التشريع، والاعتقاد في الأسباب قَدْح في التوحيد. وفي حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: "اعقلها وتوكل" (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

وأما عدم السعي وترك الأخذ بالأسباب فليس من التوكل في شيء، وإنما هو اتكال أو تواكل حذرنا منه الإسلام.

في الختام: التوكل على الله حقيقته أن يُفوّض العبد أمره لله ويسلم حاله له، وأن يعتمد على ربه في قضاء حاجته ويثق به. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "التوكل هو الثقة بالله،
وصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله،
فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك".

وحُسن التوكل على الله تعالى له أثرٌ عظيمٌ في سعادة المرء وتحقيق مطالبه وحصول الرضا والاطمئنان في قلبه ووقايته من الشرور والفتن؛ قال تعالى: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» (الزمر:٣٦).

وإذا اعتمد العبد بكُليّته على الله وأحسن التوكل عليه وبذل وسعه في تعاطي السبب؛ تحقق مطلبه بإذن الله. ولو كان مُقصّرًا في العمل، أو مُتعاطيًا سببًا ضعيفًا لا يؤثر أثرًا كبيرًا في العادة. وإذا علم الله من العبد صدقه في اللجأ إليه والاعتماد عليه وحده، كفاه وآواه وستره وأعطاه، ولا حرج على فضل الله تبارك وتعالى.

نسأل الله أن يرزقنا حُسن التوكل عليه، اليقين بقدرته، والثقة به سبحانه وتعالى.

فضائل شهر شعبان

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق

فرع بلبيس

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين.

أما بعد: فشهر شعبان من مواسم الطاعات التي ينبغي لكل مسلم أن يستفيد منه بالتقرب إلى لله تعالى بالطاعات، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

تسمية شهر شعبان:

سُمي شهر شعبان بهذا الاسم لتشعُّب القبائل العربية في طلب المياه أو في الغارات التي كانوا يقومون بها ضد بعضهم بعد أن يخرج شهر رجب الحرام. (فتح الباري- لابن حجر- جـ٤- ص٢٥١).

فضل الصوم في شعبان:

من سُنَّة نبينا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الإكثار من الصيام في شهر شعبان،

فعن عائشة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا، قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ وَكَانَ يَقُولُ خُذُوا مِنْ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا. (البخاري حديث ١٩٧٠).

قال الإمام ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّه: قَوْلُهَا: (كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ) أي: يَصُومُ مُعْظَمَهُ. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ٤ ص٢٥٢).

قال الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّه: جَائِزٌ فِي كَلَامِ العَرَبِ، إِذَا صَامَ أَكْثَرَ الشَّهْرِ أَنْ يُقَالَ: صَامَ الشَّهْرَ كُلَّهُ، وَيُقَالُ: قَامَ فُلَانٌ لَيْلَهُ أَجْمَعَ، وَلَعَلَّهُ تَعَشَّى وَاشْتَغَلَ بِبَعْضِ أَمْرِهِ.

وقال ابن المبارك أيضاً: إِنَّمَا مَعْنَى هَذَا الحَدِيث

أنه كان يصوم أكثر الشهر). (سنن الترمذي جـ٣ ص١١٤).

وعن أسامة بن زيد، رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم. (صحيح النسائي- للألباني- حديث ٢٢٢١).

تخصيص النصف من شعبان بالصوم:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن صيام النصف من شعبان أو تخصيصه بقراءة أو بذكر، لا أصل له، فيوم النصف من شعبان كغيره من أيام النصف في الشهور الأخرى، ومن المعلوم أنه يشرع أن يصوم الإنسان في كل شهر الثلاثة البيض: الثالث عشر، والرابع عشر والخامس عشر، ولكن شعبان له مزية عن غيره في كثرة الصوم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر الصيام في شعبان أكثر من غيره، حتى كان يصومه كله أو إلا قليلاً منه، فينبغي للإنسان إذا لم يشق عليه أن يكثر من الصيام من شعبان اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. (البدع والمحدثات- لحمود المطر- ص٦١٢).

حكم الصوم في النصف الثاني من شعبان:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا انتصف شعبان فلا تصوموا. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٤٤٩).

قال ابن رجب الحنبلي: النهي في هذا الحديث يكون في حق من لم يصم شيئاً في النصف الأول أو من ليس له عادة من الصوم وأراد أن يبدأ التطوع في النصف الثاني فقط. (لطائف المعارف لابن رجب ص٢٦٠).

وقال الإمام الترمذي رحمه الله: معنى هذا الحديث عند بعض أهل العلم: أن يكون الرجل مفطرا، فإذا بقي من شعبان شيء أخذ في الصوم لحال شهر رمضان. (سنن الترمذي- جـ٣- ص١١٥).

الاحتفال بليلة النصف من شعبان:

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: جاء في فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث متعددة، قد اختلف فيها، فضعفها الأكثرون وصحح ابن حبان بعضها. (لطائف المعارف- لابن رجب- ص٢٦١).

وعن أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن. (صحيح ابن ماجه- للألباني- حديث١١٤٠).

أخي الكريم: هذا الحديث ليس فيه إلا أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيغفر لعدد كبير من خلقه عدا المشرك والمشاحن. ومن العجيب أن أهل البدع يتمسكون بمثل هذا الحديث فيجعلونه أصلاً لبدعهم.

بدع ليلة النصف من شعبان:

سوف نتحدث عن بدع ليلة النصف من شعبان بإيجاز شديد:

أولاً: الصلاة الألفية:

الصلاة الألفية هي مائة ركعة، يقرأ المصلي في كل ركعة بعد الفاتحة، سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) عشر مرات. وتسمى بالألفية لقراءة سورة الإخلاص فيها ألف مرة.

قال الإمام النووي رحمه الله: الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي ثنتي عشرة ركعة تصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة وهاتان الصلاتان بدعتان (المجموع- للنووي- جـ٤- ص٥٦).

وبعد أن ذكر ابن قيم الجوزية (رحمه الله) ثلاثة أحاديث في فضل صلاة ليلة النصف من شعبان قال: أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان لا يصح

منها شيء. (المنار المنيف- لابن القيم- ص٩٨).

ثانيا: تخصيص صوم يوم ليلة النصف من شعبان:

إن تخصيص صوم يوم ليلة النصف من شعبان من البدع التي ابتدعها الناس في شهر شعبان، وأما ما رواه ابن ماجه بلفظ: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فحديث موضوع. (ضعيف الجامع للألباني حديث ٦٥٢).

قال المباركفوري رحمه الله: لَمْ أَجِدْ فِي صَوْمِ يَوْمِ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ حَدِيثًا مَرْفُوعًا صَحِيحًا.

ثالثا اجتماع الناس في المساجد لإحياء ليلة النصف من شعبان:

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لم أدرك أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولم ندرك أحداً منهم يذكر حديث مكحول، ولا يرى لها فضلا على ما سواها من الليالي. (إسناده صحيح) (البدع لابن وضاح القرطبي ص٨٤).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي (رحمه الله): قِيَامُ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة. (لطائف المعارف- لابن رجب الحنبلي- ص٢٦٤).

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله (من علماء الأزهر الشريف): من البدع الفاشية في الناس احتفال المسلمين في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب، يقرءونه بأصوات مرتفعة بتلقين الإمام، فإن إحياءها بذلك على الهيئة المعروفة، لم يكن في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا في عهد الصحابة (الإبداع في مضار الابتداع- علي محفوظ- ص٢٨٦).

رابعا: دعاء المحو والإثبات:

من البدع التي ابتدعها الناس أيضاً في ليلة النصف من شعبان، الدعاء المعروف الذي يطلب فيه المسلم من الله تعالى أن يمحو من أم الكتاب شقاوته إن كان قد كتبه شقياً.

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله: هذا الدعاء ليس له أصل في سنة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يثبت عن نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين، أنهم

اجتمعوا في المساجد من أجل الدعاء في ليلة النصف من شعبان ولا تصح نسبة هذا الدعاء إلى أحد من الصحابة. (الإبداع في مضار الابتداع- علي محفوظ- ص٢٩٠).

ينبغي لكل مسلم أن يحرص على اتباع سُنَّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، ويحذر من مخالفة السُّنَّة: قال الله تعالى: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) (الحشر:٧)، وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ. (البخاري- حديث ٢٦٩٧).

أحوال صيام آخر شهر شعبان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ. (البخاري حديث ١٩١٤، ومسلم حديث ١٠٨٢).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: صيام آخر شعبان له ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يصومه بنية الرمضانية، احتياطاً لرمضان، فهذا منهي عنه، وقد فعله بعض الصحابة، وكأنهم لم يبلغهم النهي عنه، وفرَّق ابنُ عمر بين يوم الغيم والصحو في يوم الثلاثين من شعبان، وتبعه الإمام أحمد.

الثاني: أن يُصام بنية النذر أو قضاء عن رمضان أو عن كفارة، ونحو ذلك، فجوَّزه الجمهور.

الثالث: أن يصام بنية التطوع المطلق، فكرهه من أَمَر بالفصل بين شعبان ورمضان بالفطر- منهم الحسن البصري-، وإن وافق صوماً كان يصومه، ورخَّص فيه مالك ومن وافقه، وفرَّق الأئمة: الشافعي والأوزاعي وأحمدُ (رحمهم الله) وغيرهم بين أن يوافق عادة أو لا.

ثم قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ الله: المعمول به عند كثير من العلماء أنه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة، ولا سبق منه صيامٌ قبل ذلك في شعبان متصلاً بآخره. (لطائف المعارف- لابن رجب- ص٢٧٢).

كراهة التقدم بالصوم على رمضان:

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ الله: كراهة التقدم بالصوم على رمضان لها ثلاثة معانٍ:

أحدها: أنه على وجه الاحتياط لرمضان، فيُنهى عن التقدم قبله، لئلا يُزاد في صيام رمضان ما ليس منه، كما نُهي عن صيام يوم العيد لهذا المعنى، حذراً مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم، فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم.

الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل، فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرَّم صيام يوم العيد، ونهى النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أن تُوصَل صلاة مفروضة بصلاة حتى يُفصَل بينهما بسلام أو كلام.

الثالث: أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أمر بذلك للتَّقَوِّي على صيام رمضان، فإن مواصلة الصيام قد تُضْعِفُ عن صيام الفرض، فإذا حصل الفطر قبله بيوم أو يومين، كان أقرب إلى التَّقَوِّي على صيام رمضان، وفي هذا التعليل نظر، فإنه لا يكره التقدم بأكثر من ذلك، ولا لمن صام الشهر كله وهو أبلغ في معنى الضعف، لكن الفطر بنيَّة التَّقَوِّي لصيام رمضان حَسَنٌ لمن أضعفه مواصلة الصيام. (لطائف المعارف- لابن رجب- ص٢٧٥:٢٧٣).

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الشريعة قائمة على العدل

قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ » (المائدة: ٨).

من دلائل النبوة

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كان النبيَ صلّى الله عليه وسلّم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحوّل إليه، فحنّ الجذع، فأتاه فمسح يده عليه. (صحيح البخاري).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابنِ عبّاس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول عند الكرب: « لا إله إلاّ الله العظيم الحليم، لا إله إلاّ الله ربّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربّ السّماوات وربّ الأرض وربّ العرش الكريم» (صحيح مسلم)

من هدي الرسول ﷺ

حثُّه على جمع كلمة المسلمين

عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعثه ومعاذًا إلى اليمن. فقال: « يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا لا تختلفا » (صحيح مسلم).

من أقوال السلف

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: « وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »، اجعلنا أئمّة هدًى ليُهتَدى بنا ولا تجعلنا أئمّة ضلالة». (فتح الباري)

فضل شهر شعبان

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان" (سنن أبي داود)

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين». فملة إبراهيم التوحيد، ودين محمّد: ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقادًا. وكلمة الإخلاص: هي شهادة أن لا إله إلّا الله. (مدارج السالكين).

من معاني الأحاديث

«ما تزال المسألة بالعبد حتى يَلقى الله وما في وجهه مزعة لحم»: مزعة: أي قطعة يسيرة من اللحم. المقصود بالمسألة في الحديث: الذي يسأل الناس تكثُرًا وعنده ما يكفيه.

(النهاية لابن الأثير)

اعداد/د. علاء خضر

حكم ومواعظ

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: «التَقيَ مُلجَمٌ لا يفعل كلَ ما يريد».

(شرح السنة للبغوي)

من فضائل الصحابة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبُوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا؛ لم يبلغ مُدَ أحدهم ولا نصيفه".

(صحيح مسلم)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

في قول الله عز وجل: (عسى أن يبعثك ربُك مقامًا محمودًا)؛ قال: يُجلسه فيما بينه وبين جبريل، ويشفع لأمَته، فذلك المقام المحمود) باطل. أخرجه الطبراني في "الكبير" (السلسلة الضعيفة للألباني)

من حكمة الشعر

قال ابن القيم في معنى لا إله إلا الله:

حقَ الإله عبادة بالأمر لا
بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئًا هما
سبب النجاة فحبذا السببان

(القصيدة النونية لابن القيم).

مفاتيح الاصطبار لعبادة العزيز الغفار

أ. د محمد حامد الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فعبادة الله سبحانه هي الغاية التي من أجلها خُلقنا في هذه الحياة، ولا ينبغي أن يغيب عنا ذلك، أو أن نغفل عنه؛ قال عز وجل: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (سورة الذاريات:٥٦).

وقد تكرر الأمر بعبادته سبحانه في القرآن الكريم؛ لئلا يغفل الخلق أو يُصرفوا عنها؛ ألا ترى أن أول نداء خاطب الله به الناس في سورة البقرة هو: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة: ٢١).

ومن الآيات الجليلة في هذا الشأن قوله جلَّ ذكره: «رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا» (سورة مريم:٦٥)؛ فقد أمرنا الله في الآية الكريمة بعبادته، وبالاصطبار لها وهذا معنى جليل حقيقٌ بنا أن ندركه، وتُملأ نفوسنا به؛ لأن عبادة الله سبحانه-وهي أعظم ما يقدمه الإنسان في هذه الحياة- تحتاج إلى صبر بل إلى اصطبار يُعان به العبد على الثبات والاستمرار.

والاصطبار يدل على قوة في التصبر؛ ولذا كان الاصطبار أبلغ من التصبر، بل إن التصبر في حقيقة الأمر لا يزال يتكرر حتى يصير اصطبارًا (يُنظَر: عدة الصابرين لابن القيم ص٣٣).

ولعلك -أكرمك الله- إذا أمعنتَ النظر مرة أخرى في الآية الكريمة وجدت أن هذا الفعل: "واصطبر" تعدى باللام في قوله تعالى: "لعبادته"، ولم يتعدَّ بـ"على" مع أنه الأصل كما في قوله عز وجلَّ: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا» (سورة: طه: ١٣٢)؛ وفي هذا سرٌّ لطيف وهو أن الفعل يتضمن معنى فعل آخر تناسبه التعدية باللام دون مفارقته لمعناه الأصلي، ويسمى بأسلوب التضمين والمعنى

على هذا: "أي: اثبتْ بالصبر لعبادته لأنّ العبادة تُوردُ شدائد، فاثبُتْ لها" (البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٧/٢٨٣).

ومعنى هذا الكلام-يا كرام- أننا مأمورون بعبادة الله وبالاصطبار عليها، والثبات للعبادة بهذا الاصطبار.

ووجه ذلك أن عبادة الله سبحانه لا أجل لها دون الموت؛ فالعبد يعيش عليها إلى أن يلقى الله بها وصدق الله سبحانه إذ قال: « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » (سورة الحجر: ٩٩).

فهذه الجملة العظيمة: "واصطبرْ لعبادته" دعوة لنا للثبات على عبادة الله إلى الممات.

دعوة إلى الاستقامة على الطاعة التي هي أعظم الكرامة. دعوة إلى الصبر والاصطبار على طاعة العزيز الغفار، وترك معصيته بإخلاص واختيار.

هذا المعنى حين يغيب عن أحدنا تراه يستسهل المعصية، ويفرط في الطاعة، ويترخص حيث لا مرخص، ويقع منه ما لا يحسن. وحين يكون حاضرًا في نفوسنا متمكنًا من قلوبنا ترى همة ونشاطًا، وإقبالاً على الطاعات، وإحجامًا عن المنكرات، وهذا هو المراد.

ألا ترى – وفقك الله لكل خير- أن الشأن كل الشأن في أن تثبت على الطاعة، وتموت عليها، وتلقى الله بها. هذا هو الثبات، وهو الاصطبار في حقيقة الأمر، لكن الاصطبار فيه بيان أن طريق الثبات الصبر فتنبه لذلك، ولا تغفل عنه.

إن الصبر مفتاح كل خير، ولا غرو أن من أعطاه الله إياه فقد أعطاه خيرًا كثيرًا ورزقًا وفيرًا؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ (صحيح البخاري: ١٤٦٩، وصحيح مسلم: ١٠٥٣).

ولا تظنّ -أرشدك الله لطاعته- أن الصبر مورده المصائب والابتلاءات فحسب، فإنّ الصبر على ثلاثة أقسام هذا أحدها، وهو الصبر على المصائب والابتلاءات، وهناك نوعان آخران عظيمان وهما الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، وهما أجل من الصبر على المصائب والابتلاءات.

وقد قرّر كثير من العلماء أنّ صبر يوسف عليه السلام عن مراودة امرأة العزيز له-مع توفر دواعي الاستجابة لها من كونه شابًا عزبًا غريبًا وهي الداعية الراغبة- أعلى شأنًا وأرفع قدرًا من صبره على ما ابتلي به حين أُلقي في الجب دون اختيار منه له.

ولك أن تقول: "كل صبر في محله وموضعه أفضل، فالصبر عن الحرام في محله أفضل، والصبر على الطاعة في محلها أفضل" (عدة الصابرين لابن القيم ص٦٤).

وإذا قلت: ما الذي يعينني على الاصطبار لعبادة العزيز الغفار سبحانه؟

فأقول: يعينك على هذا الاصطبار مفاتيح مهمة يسهل بها الصعب، ويتيسر العسير وإليك أهمها:

١- الاستعانة بالله ودعاؤه أن يفرغ علينا صبرا:

فما أحوج العبد إلى الافتقار إلى الله سبحانه، وسؤاله العون منه سبحانه.

وخيرُ ما يلجأ إليه العبد في مواطن الشدة، ومواقف الثبات على المبدأ رغم المحنة سؤال الله الصبر، والتضرع إليه بذلك؛ قال عز وجل: «وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

ٱلْكَٰفِرِينَ » (سورة البقرة: ٢٥٠).

وقال تعالى ذاكرًا قول سحرة فرعون بعد إيمانهم، وتوعد فرعون لهم: « وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ » (سورة الأعراف: ١٢٦).

وتأمل هذا التعبير الرائع: "أفرغ علينا" فهو يطلبون صبرا تملأ به نفوسهم، ويسري إلى جوارحهم، ويغمرهم من كل جهة كما يفرغ الماء في الوعاء فيمتلئ، ويفيض من جوانبه. وكلما أعطي العبد من الصبر نصيبًا عظم ثباته وقوي عزمه، واستقام على طاعة ربه.

٢- علمك بأن الدنيا دار تكليف وابتلاء وامتحان:

لا ينبغي أن تغفل عن أنك في الدنيا تعيش مدة اختبار وامتحان بالأوامر والنواهي والمصائب.

قال تعالى: « أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ » (سورة آل عمران: ١٤٢)، وقال تعالى: « أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » (سورة العنكبوت: ٢).

وقال تعالى: « ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ » (سورة الملك: ٢).

وقال رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ » (صحيح البخاري: ٦٤٨٧، وصحيح مسلم ٢٨٢٢).

٣- استحضارك لعظيم جزاء الصابرين:

قال تعالى: « إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ » (سورة الزمر: ١٠)، وقال تعالى: « وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (سورة النحل: ٩٦)، وقال تعالى: « وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ » (سورة آل عمران: ١٤٦)، وقال تعالى: « وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » (سورة الأنفال: ٤٦)، وقال تعالى: « إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ » (سورة المؤمنون: ١١١).

٤- معرفتك بأن الصبر مفتاح كل الطاعات، وطريق الحصول على جميع الفضائل:

ومن أدلة ذلك أنّ رب العزة سبحانه لما وصف عباد الرحمن بصفات جليلة أردفها بقوله جلّ ذكره: « أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا » (سورة الفرقان: ٧٥)، ولما وصف الأبرار بأوصاف كريمة أردفها بقوله تعالى: « وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا » (سورة الإنسان: ١٢)، ولمّا وصف أولي الألباب بنعوت شريفة أتبعها بقوله تعالى: « وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ » (سورة: الرعد: ٢٣-٢٤).

وهكذا نرى أن الصبر عليه التعويل، فهو جواد لا يكبو، وسيف لا ينبو، وجند لا يهزم.

٥- علمك بكثرة الفتن، وخطر العلائق والعوائق على القلب:

نشاهد في حياتنا من يتغير حاله، وينقلب على عقبيه-نسأل الله العفو والسلامة-: فيترك الطاعات بعد أن باشرها، ويجترئ على المعصية بعد أن تجنّبها، وما ذلك إلا لقلة صبره، وضعف عزيمته.

حقيقٌ بك-أيها اللبيب- أن تدرك أن القلب سريع التقلب، وسُمّي قلبًا لذلك، وأن تعلم أن الفتن تُعرض عليه كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يكن لدى العبد صبرٌ وثبات عصفت به الشهوات والشبهات فصرفته عن الطاعات، وأوقعته في الخطايا والمنكرات.

وقد جاء تعبير النبي صلى الله عليه وسلم دقيقًا ومحكمًا؛ إذ عبر عن الصبر بأنه ضياء كما في صحيح مسلم (في حديث أبي مالك الأشعري: رقم ٢٢٣)؛ وذلك لأن الإنسان لا غنى له عن هذا الضياء ليسلم به من غياهب الظلام، وجهالات الضلال.

ولما كان الصبر فيه مشقة وعناء عبّر عنه

بالضياء، وعبّر عن الصلاة بأنها نور؛ لأن النور لا حرارة فيه، بخلاف الضياء فيه حرارة، وكذلك الصلاة فيها راحة، وأما الصبر فيه مشقة ومرارة تعقبها حلاوة ولذا قيل:

الصبر مثل اسمه مر مذاقته
لكنّ عواقبه أحلى من العسل

وقد فرّق الله عز وجل بين الشمس والقمر فقال عز من قائل: «هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا» (سورة يونس: ٥)، ولا يخفى ما تتميز به الشمس عن القمر من حرارة.

وقد أمرنا الله سبحانه بالاستعانة بالصبر والصلاة؛ لما لهما من كبير الأثر، وعظيم الشأن في تحمل المصاعب، واقتحام الشدائد، والثبات على الخير، وتجنب الشر؛ قال تعالى: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ» (سورة البقرة: ١٥٣).

٦- التواصي بالصبر:

إذا أحسّ المؤمن بأنه عضو من جسد، وجزء من كل فإنه يصبر، ويتصبر، ويُصبّر غيره؛ لأننا ركاب سفينة واحدة؛ ولذا جعل الله سبحانه من أسباب النجاة من الخسران التواصي بالصبر فقال جل شأنه: «وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ» (سورة العصر: ١-٣).

ومن هذا المنطلق فإنك حين تدعو غيرك للزوم الطاعة وترك المعصية، وعدم الافتتان بالمُغريات رغم انتشارها، وبالباطل بالرغم من شيوعه؛ فإن هذا سبيل إلى صبرك واصطبارك بفضل الله ربي العالمين.

٧- مجاهدة النفس:

الإنسان بحاجة إلى المجاهدة التي هي قوام الاصطبار، وعليها عماده؛ قال تعالى: «وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ» (سورة العنكبوت:٦٩).

وتقدم في حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن يتصبر يصبره الله".

فبالمجاهدة يصير الإنسان مصطبرًا؛ يحب الطاعة، ويبغض المعصية، ويؤثر رضا الله على اتباع هواه.

٨- الإخلاص في الصبر:

حقيق بك أن تستحضر أن الصبر المحمود هو الصبر الذي أُريد به وجه الله.

فأنت حين تمتنع عن الحرام على اختلاف ألوانه، وتعدُّد صوره لا تفعل ذلك ليثني عليك الناس، أو لتنال عندهم منزلة، أو تحقق مأربًا، وإنما تصبر وتصطبر ابتغاء وجه الله سبحانه.

وهذا يحملك على الثبات والاستمرار على الفضيلة؛ لأن ما كان لله عز وجل فهو دائم غير مقطوع، وما كان لغيره فهو ذاهب مقطوع. قال تعالى: «وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ» (سورة الرعد:٢٢)، وقال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: «وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ» (سورة المدثر:٧)؛ أي: له وحده لا لغيره فاصبر؛ فإنه الصبر المحمود.

هذه ثمانية أمور تُعان بها على تحقيق الاصطبار لعبادة الله عز وجل؛ أسأل الله أن يُعيننا على تحصيلها، وأن يُفرغ علينا صبرًا، ويُثبّت أقدامنا وينصرنا على القوم الكافرين، وأن يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين.

والحمد لله رب العالمين.

السيد البدوي
ودولة الدراويش في مصر
محمد فهمي عبد اللطيف

نظرات في كتاب:

السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر للكاتب الصحفي:

محمد فهمي عبد اللطيف

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (سبأ: ١)، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، ومن تبعه إلى يوم الدين.

وبعدُ: فهذا هو المقال الثالث تحت هذا العنوان: نظرات في كتاب: السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر، وقد سبق في المقال الثاني نظرات على الفصول الأربعة الأولى من الكتاب، ونتناول في هذا المقال الفصول الأربعة الباقية من الكتاب، وهي:

الفصل الخامس: أتباع السيد، ومريدوه.
الفصل السادس: موالد السيد ومواكبه.
الفصل السابع: نتائج وآثار.
الفصل الثامن: إصلاح واجب.

ولنبدأ تلك النظرات مع فصول الكتاب:

الفصل الخامس: أتباع السيد، ومريدوه.

استهل المؤلف هذا الفصل ببيان أثر أتباع السيد ودراويشه، وخلفائه في الترويج له حتى ذاع صيته في مصر وغيرها، وقد نسجوا لأجل ذلك القصص والأساطير، ونسبوا لشيخهم العطاب الضارب بالقرضاب صاحب السر الباتع المعجزات والخوارق والمدهشات، وادعوا أن

إعداد د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع العاشر

بيده العون والغوث، وتلاعبوا بمشاعر الناس التي أحبطت في هذا الوقت من جراء الحروب الصليبية، وقد أدركوا أن العامة في هذا الوقت تستهويهم التهويلات والمبالغات وتستغرق وجدانهم، وتدغدغ مشاعرهم وتجعلهم في سكرة تغيب فيها العقول والموازين الشرعية، وذكر أنه قد ساعد على هذا الأمر تملق الحكام وبعض الفقهاء.

ثم تحدث المؤلف عن أثر السطوحية في ذلك،

والسطوحية هم درويش السيد الذين كان يجتمع بهم على السطوح، وعددهم أربعون، وقد كان يجتمع بهم وحدانا، فلا يجتمع باثنين منهم معًا، بل يجتمع بواحد منهم فقط فإذا رأى إخلاصه لدعوته، ورأى منه القدرة على تحمل أعباء الدعوة وجهه إلى حيث يستطيع أن يجمع حوله الأتباع والمريدين، وهكذا نشر السيد أتباعه من السطوحية واحدًا إثر واحد من الإسكندرية إلى صعيد مصر، بل وأرسل بعضهم إلى نواحي الشام، بل وإلى مكة، وهكذا انتشرت تلك الدعوة وذاع صيت البدوي.

رائد السطوحية، وخليفة السيد الأول، والمدفون الآن في نفس المسجد: الشيخ عبد العال الفيشاوي:

أصل هذا الرجل من بلدة: فيشا المنارة إحدى قرى الغربية القريبة من طنطا، وقد جاء للسيد وهو فتى فقربه البدوي منه، وجعله من خاصته وصاحب الإذن عليه، وقد طبع عبد العال دعوة البدوي بالطابع المصري والطقوس المصرية، فلم يبق من طابع المغرب في دعوته إلا اللثام، والبشت.

وقد أقام عبد العال نفسه خليفة للسيد ونشر تعاليمه وأضاف عليها، وهو الذي ابتنى المقام حول ضريح السيد البدوي، وابتنى الخلوة للصوفية حول الضريح، ورتب الرواتب للدراويش والفقراء، وتلك الخلوة هي التي تحولت الآن للمسجد، وهو الذي رتب الموالد والمواكب وسائر الرسوم التقليدية إلى الآن.

وقد كان عبد العال يفرض سلطانه على الأتباع والمريدين بما ينقل من تعاليم البدوي التي يزعم أنه اختصه بها، وقد كان ضيق العطن، ويزعم الصوفية أنه ما يزال على هذا حتى بعد موته فإذا كثر الزوار في مقامه قعقع السقف من فوقهم.

وقد حمل الشيخ عبد العال عبء الدعوة بعد البدوي (٥٨ سنة)، فقد توفي سنة: ٧٣٣ ه، وتوفي البدوي سنة: ٦٧٥ ه، وقد بقيت خلافة الأحمدية في أسرة عبد العال، فكان الصوفية ينذرون لهم ويستغيثون بهم ويتشفعون بهم لدى الحكام حتى غلبت الشناوية على الخلافة فخرجت من أيديهم إليهم.

والشناوية نسبة للشيخ عمر الشناوي وكان من سطوحية البدوي، وقد ترجم له الشعراني في طبقاته، وادعى له الجاه والسلطان وأطنب في مدحه.

ثم انتقل المؤلف فتكلم عن خدمة الضريح أو سدانة الضريح وما لها من وظيفة، وتكلم عن كثرة أموال هؤلاء السدنة من جراء أموال النذور، وذكر في ذلك قصة ذكرها الجبرتي.

ثم تحدث المؤلف عن بعض التفصيلات عن السطوحية حملة دعوة البدوي، وأنهم تشعبوا بعد ذلك إلى طرق كثيرة لكل طريقة منها رسومها وطقوسها فمن هذه الطرق: السطوحية، والبيومية، والمناوية، والشعيبية، والتسقيانية، الحبيبية، والإمبابية، والسلامية، والمنافية ... وغيرها الكثير في طول البلاد وعرضها، وذكر أن هذه الطرق كلها تنتسب إلى الأحمدية وتجتمع في مولد البدوي بأزيائها وطقوسها، بل وهذه الطرق بنت كثيرًا من الأضرحة غير الضريح الذي يقع في طنطا وادعت أنه للبدوي أو الأحمدي أو الملثم.

وهنا ننتقل سريعًا إلى الفصل السادس: موالد السيد ومواكبه، فنبين أهم معالمه.

والموالد احتفالات ومواسم اصطنعها الصوفية يجتمعون فيها ويجمعون حولهم العامة، وهي تجمع كثيرًا من المتناقضات فيجتمع فيها العامة ويبذلون فيها الأموال والنذور التي يصرفونها لغير الله فيتقربون بها إلى القبور والأضرحة، فيكون فيها ما يشتهى سدنة الضريح والشيوخ، ويتوسلون فيها بهم، ويكون فيها الاختلاط

والتراقص، بل والمجون والتسلي بألعاب يدخل فيها الميسر والقمار، وقد أصبح هذا الأمر شائعًا عرفيًا يقفز إلى الذهن تصوره بمجرد إطلاق لفظ المولد.

وهذه الموالد من الكثرة بحيث لا يحصيها عدٌّ، وسواء كانت هذه الموالد عند الصوفية وأتباعهم أو النصارى واليهود في مصر، وقد أحصت الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية عدد الموالد في مصر فذكرت أنها حوالي: ٢٨٥٠ مولدًا.

مولد البدوي:

ذكر المؤلف أن للبدوي ثلاثة موالد:

الأول: المولد الكبير، وهذا يعتبر أهمها أثرًا، ويستمر ثمانية أيام، ويقام في شهر: مسرى - أغسطس.

الثاني: المولد الأوسط أو الصغير أو الشرنبلالي، أو مولد سيدي عبد العال، ويقام في برمودة - مارس أبريل.

الثالث: المولد الرجبي، ويسمى بمولد الزيارة، وهو منسوب لرجل اسمه: رجب العسيلي، ويقام في أمشير، فبراير.

فهذه الموالد الثلاثة مرتبطة بالسنة الشمسية، وقد أصبحت الآن هذه الموالد تحدد في كل سنة من لجنة مختصة.

ولا يعوز القارئ الكريم الكلام عن حكم هذه الموالد في الشريعة، ولا حكم ما يجري فيها، ولا يعوزه أيضًا بيان لماذا اهتم الاستعمار والدول الغربية بمثل هذه الموالد، وقد أشرنا إلى شيء من هذا المعنى في المقال الأول والثاني.

والصوفية يدافعون عن تلك الموالد بكثير من التلبيسات والشبهات، بل كثير من الخرافات التي يروونها على أسماع العامة، وإليك بعض ما يقول كبارهم كالشعراني:

قال الشعراني في طبقاته (١ / ١٨٦): «إن سيدي الشيخ محمد السروري - رضي الله عنه - شيخي تخلف سنة عن الحضور فعاتبه سيدي أحمد - رضي الله عنه - وقال: موضع يحضر فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- معه وأصحابهم والأولياء - رضي الله عنهم - ما تحضره».

وقال (١ / ١٨٧): «أخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي - رضي الله عنه - أن شخصًا أنكر حضور مولده فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام.

فاستغاث بسيدي أحمد - رضي الله عنه - فقال: بشرط ألا تعود.

فقال: نعم.

فرد عليه ثوب إيمانه».

فقد زعم الشعراني أن الأنبياء، والمرسلين، والصحابة يحضرون مولد البدوي، وأن من أنكر عمل المولد، أو أنكر على ما يفعل فيه من المنكرات، أو ينكر فيه على صرف العبادة لغير الله يسلب منه الإيمان حتى لا تبقى فيه شعرة تحن لدين الإسلام، ثم لم ينس أن يقول: إن البدوي بيده الهداية فإن رضي رد الإيمان، وإلا سلبه، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٦).

وقد ذكر المؤلف شيئًا من تلك الخرافات التي يلوكها الصوفية بألسنتهم، والتي نجح بها الصوفية في التأثير على الطغام والعامة فترة من الفترات.

وقد ذكر المؤلف كثيرًا من مظاهر الاحتفال في هذه الموالد الثلاثة وما يجري فيها من يوم الاحتفال إلى ليلة الختام.

ننتقل سويًا إلى الفصل السابع: نتائج وآثار:

ذكر المؤلف كثيرًا من النتائج والآثار على المجتمع المصري من جراء التأثر بتلك الخرافات بعد أن مهد لذلك بتمهيد طويل، ثم تكلم عن آثار هذه الدعوات على الناحية الدينية:

١ - انتشار البدع والخرافات.

٢ - صرف العبادة لغير الله تعالى.

٣. التعلق والاستغاثة بغير الله.

٤. الظن بأن الأولياء لهم تصرف في الأكوان، وأنهم ينعون ويضرون، بل بيدهم الهداية والتوفيق كرامة، أو الطرد والإضلال عقوبة، كما نسب الشعراني للبدوي.

٥. الظن أن للأولياء اطلاعاً على غيوب السماوات والأرض حتى قال الشعراني: «قد صرَّح المحققون: بأن للأولياء الإسراء الروحاني إلى السماء بمثابة المنام يراه الإنسان، ولكل منهم مقام معلوم لا يتعداه وذلك حين يكشف له حجاب المعرفة، فكل مكان كشف له فيه الحجاب حصل المقصود به:

فمنهم: من يحصل له ذلك بين السماء والأرض.

ومنهم: من يحصل له ذلك في سماء الدنيا.

ومنهم: من ترقى روحه إلى سدرة المنتهى إلى الكرسي إلى العرش».

وكان نتيجة هذا أيضًا المناهضة للإصلاح والمصلحين الذين ينكرون على هؤلاء ما جاؤوا به من المنكرات، وانظر إلى كثير من الدعوات الإصلاحية وما واجهته من هجوم شرس كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية فما قامت هذه الدعوة إلا على تجريد التوحيد فلاقت ما لاقت وما زالت تُهاجم ويُشنع عليها إلى وقت الناس هذا.

وأما على السبيل الاجتماعي والاقتصادي فيكفي أن ترى أين تتوجه سهام أعدائك لتعرف أين الحق بالقرينة، وأين تتوجه يدهم بالدعم لتعرف أين الباطل الذي ينشدونه ولماذا؟

يقول برنارد لويس: إن تفاقم تأثير الحركات الأصولية الدينية في أواخر السبعينيات والثمانينيات، قضى نهائيًا على أفكار غربيين كانوا يعتقدون أن التصوف الإسلامي السياسي يحُدُّ من تأثير الإسلام السياسي؛ فمقاومة السلطة السياسية من ملوك وأباطرة وفراعنة كما يؤكد دانيال بايبس وَجَدَ له الأصوليون تفسيرًا في القانون الإسلامي، ولذا فإن الغرب يسعى إلى مصالحة (التصوف الإسلامي) ودعمه لكي يستطيع ملء الساحة الدينية والسياسية وفق ضوابط فصل الدين عن الحياة، واقصائه نهائيًا عن قضايا السياسة والاقتصاد، وبالطريقة نفسها التي استخدمت في تهميش المسيحية في أوروبا والولايات المتحدة."

[جريدة: الزمان، - العدد (١٦٣٣) - بتاريخ: (٢٠٠٣/١٠/١٢م)].

وقد نقل المؤلف عن كثير من المستشرقين ما يشابه ما سبق نقله عن برنارد لويس.

وأنتقل معك إلى آخر فصول الكتاب:

الفصل الثامن: إصلاح واجب.

وقبل استعراض ما ذكر المؤلف من نصح في آخر هذا الفصل، سأنقل لك بعض أقوال العلماء في الصوفية الأولى وهي أكثر استقامة وأقرب طريقًا من هؤلاء الأدعياء من المتأخرين حتى قال الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٤٣١): «قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعى: شهدت أبا زرعة - وقد سئل عن الحارث المحاسبى وكتبه.

فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك.

قيل له: في هذه الكتب عبرة؟

فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكًا والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع!».

فقال الذهبي: «وأين مثل الحارث؟! فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كالقوت لأبي طالب؟ وأين مثل القوت؟ كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهضم، وحقائق التفسير للسلمي؟ لطار لُبُّه.

كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسى في ذلك، على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات؟

كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر! كيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية؟».

وهذا الإمام مالك ينكر بعض ما يراه صوفية عصرنا من القربات، مما ليس فيه شرك في العبادة. قال القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/ ٥٣): «قال المسيبي: كنا عند مالك وأصحابه حوله ، فقال رجل من أهل نصيبين : يا أبا عبد الله ، عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيرًا، ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون .

فقال مالك: الصبيان هم؟

قال: لا.

قال: أمجانين؟

قال: لا، قوم مشائخ.

قال مالك: ما سمعت أن أحدًا من أهل الإسلام يفعل هذا».

وهذا الإمام الشافعي ينكر أن يكون التصوف بما هو عليه من بدع طريقًا يسلك إلى الله، نقل البيهقي في مناقب الشافعي (٢/ ٢٠٧) عن يونس بن عبد الأعلى قال: «سمعت الشافعي يقول: لو أن رجلاً تصوف أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق»

وقال أيضا: «ما لزم أحد الصوفية أربعين يوما فعاد عقله إليه أبدا». (تلبيس إبليس ص: ٣٢٧).

وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤ / ٣١٥): «فأما طريقة الصوفية أن يكون الشيخ منهم يوما وليلة وشهرا مفكرا لا يفتر، فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالبشر، ولا مستمرة على السنن.

قال ابن عطية: وحدثني أبي عن بعض علماء المشرق قال: كنت بائتًا في مسجد الأقدام بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع في كساء له مسجى بكسائه حتى أصبح، وصلينا نحن تلك الليلة، فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس، فاستعظمت جراءته في الصلاة بغير وضوء، فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لأعظه، فلما دنوت منه سمعته ينشد شعرًا:

مسجى الجسم غائب حاضر
منتبه القلب صامت ذاكر
منقبض في الغيوب منبسط
كذاك من كان عارفا ذاكر
يبيت في ليله أخا فكر
فهو مدى الليل نائم ماهر

قال: فعلمت أنه ممن يعبد بالفكرة، فانصرفت عنه».

أما طريق الإصلاح والنصح الواجب من المؤلف فيكون:

١ - بالبيان الواضح من العلماء الثقات لمسائل توحيد العبادة التي تعرض للناس.

٢ - بدأب الوعاظ والمصلحين في التذكير بالتوحيد.

ثم ختم المؤلف الكاتب الصحفي الأستاذ: محمد فهمي عبد اللطيف كتابه بقوله:

وأما بعد: فهذا كتاب: «السيد البدوي» أعود فأقول: إنني لم أقصد به إلى الترجمة للسيد البدوي والتعريف به، وكشف حقيقته وشخصيته للناس فحسب، وانما أردت أن أكشف فيه عن الحقيقة في رغبات الشعب وآماله التي تركزت حول هذا القطب خاصة وحول أقطاب الدراويش في مصر عامة، ومدى ما كان لذلك من تأثير في حياة المجتمع المصري من النواحي الدينية، والثقافية، وإن كنت قد اضطررت إلى إجمال القول فذلك لأن المقام لا يحتمل أكثر من هذا، ولعلي أن أكون قد وُفقت فيما أردت ووقعت على الصواب، فيما قصدت، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت واليه أنيب.

وبعد فهذه كانت نظرات سريعة في هذا الكتاب الممتع أرجو أن أكون قد وُفقت فيها.

قصة من قصص الأوحال في أحوال الطرقية

إعداد الشيخ/ علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص وفي مراجع الطرقية، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

لقد اشتهر وانتشر كتاب «الطبقات الكبرى» للشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المولود سنة (٨٩٨ هـ)، وصار مرجعًا للطرقية ومنهجًا لهم فيقول الشعراني في «مقدمة الطبقات» ص (٣) مبينًا هذا المنهج:

١) هذا كتاب لخصت فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يُقتدى بهم في طريق الله -عز وجل- إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر.

٢) ثم بيَّن الغاية والمقصود فقال: ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير، ولم أذكر من كلامهم إلا عيونه وجواهره. ومن فوائد تخصيص عيون كلامهم بالذكر، تقريب الطريق على من صح له الاعتقاد فيهم، وأخذ كلامهم بالقبول، فإن المريد الصادق هو من إذا سمع من شيخه كلامًا فعمل به على وجه الجزم واليقين ساوى شيخه في المرتبة.

٣) ثم بيَّن مسلكه في الطبقات فقال: وسلكت في هذه الطبقات مسلك المحدثين: وهو ما كان من الحكايات والأقوال في الكتب المسندة، وصرح صاحبه بصحة سنده أذكره بصيغة الجزم، وكذلك ما ذكره بعض المشايخ المكملين في سياق الاستدلال على أحكام الطريق أذكره بصيغة الجزم؛ لأن استدلاله به دليل على صحة سنده عنده، وما خلا هذين الطريقين فأذكره بصيغة التمريض كـ "يُحكى أو يُروى". اهـ.

٤) ثم قال: اعلم يا أخي أن كل من طالع في هذا الكتاب على وجه الاعتقاد وسمع ما فيه فكأنه عاصر جميع الأولياء المذكورين فيه وسمع كلامهم، وذلك لأن عدم الاجتماع بالشيخ لا يقدح في محبته وصحبته فإنا نُحبّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما رأيناه ولا عاصرناه، وقد انتفعنا بأقواله واقتدينا بأفعاله، فإن صورة المعتقدات إذا ظهرت لا يحتاج إلى مشاهدة صور الأشخاص. اهـ.

٥) ثم قال: مَن طالع مِثل هذا الكتاب ولم

يحصل عنده نهضة ولا شوق إلى هذا الطريق فهو والأموات سواء والسلام. وسميته «بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار».

٦) ثم قال: «فأكرم به من كتاب جمع فقه أهل الطريق فهو في جميع نصوص أهل الطريق...». اهـ.

تنبيه: قبل أن أرد على منهج الطرقية الذي بيّن أصوله الشعراني في مقدمة كتابه «الطبقات الكبرى»، ويقول: «هذا الكتاب لخصت فيه طبقات الأولياء الذين يقتدى بهم في طريق الله -عز وجل-». وكذلك قبل أن أكشف عاره وأبيّن عواره لا بد من ميزان يعرف به أولياء الرحمن؛ حيث هناك أناس لا يقام لهم في أركان الولاية وزن.

ثانيا: الميزان لمعرفة أولياء الرحمن:

قال الله تعالى: «أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ» (يونس: ٦٢- ٦٣).

١- قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: يخبر الله تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم، وأوصافهم، وثوابهم فقال: «ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهمْ» فيما يستقبلون مما أمامهم من المخاوف والأهوال: «ولا همْ يحْزنونَ» على ما أسلفوا لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال.

ثم ذكر الله -سبحانه وتعالى- وصفهم فقال: «الّذينَ آمنُوا» بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. «وكانُوا يتّقونَ» وصدقوا إيمانهم باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي. فكل من كان لله مؤمنًا تقيًا كان لله تعالى وليًا. اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن للولاية ركنين: هما الإيمان والتقوى. اهـ.

٢- فالولاية مرتبطة تمام الارتباط بالإيمان والتقوى، والإيمان يزيد وينقص، ولذلك بوّب الإمام البخاري باباً في «صحيحه» في كتاب «الايمان» الباب (٣٣) باب «زيادة الإيمان ونقصانه»، وقول الله تعالى: «وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى» (الكهف: ١٣)، وقال تعالى: «وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا» (المدثر: ٣١)، وقال تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» (المائدة: ٣)، فإذا ترك شيئًا من الكمال فهو ناقص. اهـ.

٣- ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/٦١) أن أبا القاسم اللالكائي روى بسنده الصحيح عن البخاري قال: «لقيت أكثر من ألف رجل من علماء الأمصار فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

٤- وهذا يظهر واضحًا لمن تدبر قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ» (النساء ١٣٦).

مَن لا يُدقق في التشكيل يتوهم أن الفعل (آمنوا) مكرر فيتحيّر. ومن يدقق يعلم أن الفعل (آمنُوا) فعل ماضٍ ميمه مفتوحة، والفعل الثاني (آمنُوا) ميمه مجرورة، وهو أيضًا يتوهم ويسأل هم آمنوا فكيف يؤمروا مرة ثانية أن يؤمنوا ويظن أن هذا تحصيل حاصل؟ قلت: وهذا ظن من يعتقد أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

ومن التفاسير التي انشرح لها صدري وأنا أتدبر هذه الآية تفسير الحافظ ابن كثير لقوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنُوا آمنُوا بالله ورسُوله» قال: يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه. اهـ.

قلت: انظر إلى تفسير أهل الحديث والسنة وأن قوله تعالى: «يا أيّها الّذينَ آمَنُوا آمنُوا» ليس من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل، وأن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بالدخول في جميع شعب الايمان.

٥- الاستنتاج: مما ذكرناه آنفًا يتبين أن الولاية ليست منحة تُمنح ولا هبة تُوهب، ولكنها فريضة مفروضة لها ركنان: هما الإيمان والتقوى، والناس جميعًا مطالبون بالإيمان مكلفون بالتقوى، فكل من كان لله مؤمنًا تقيًا كان لله تعالى وليًا وأن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بالدخول في جميع شعَب الإيمان ، وعلى قدر الاجتهاد في الدخول في شعب الإيمان تكون درجة الولاية بالقرب والمحبة، فشعب الإيمان مقياس أولياء الرحمن.

وحديث «شعب الإيمان» جاء في أعلى مراتب الصحة فهو متفق عليه، فقد أخرجه الإمام

البخاري في «صحيحه» ح(٩)، والإمام مسلم في «صحيحه» ح(٣٥) نم حديث الصحابي الجليل أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الإيمان بضع وستون شعبة... والحياء شعبة من شعب الإيمان».

قال الإمام النووي في كتابه «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» ح(٣٥): وقد صنفت في تعيين هذه الشعب مصنفات ومن أغزرها فوائد كتاب «المنهاج» لأبي عبد الله الحليمي إمام الشافعيين ببخارى، وكان من رفعاء أئمة المسلمين. وحذا حذوه الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي -رحمه الله- في كتابه الجليل الحفيل كتاب «شعب الإيمان». اهـ.

قلت: ولسائل أن يسأل: «لمَ أفرد النبي -صلى الله عليه وسلم- الحياء بالذكر في الحديث»؟

يجيب عن هذا السؤال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦٨/١): فقال: فإن قيل: لم أفرده بالذكر هنا؟ أجيب بأنه كالداعي إلى باقي الشعب؛ إذ الحي يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر والله الموفق. اهـ.

فشعب الإيمان المقياس لأولياء الرحمن.

ثالثا: تطبيق هذا المقياس على طبقات الأولياء الكبرى للشعراني:

يقول الشيخ الشعراني: هذا كتاب فيه طبقات الأولياء الذين يقتدى بهم في طريق الله، ومقصودي من تأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير. اهـ.

القصة الأولى في آداب المقامات والأحوال:

قال الشيخ الشعراني المولود (٨٩٨هـ) في كتابه «الطبقات الكبرى» (١٣٥/٢) ط: صبيح- ميدان الأزهر. «الطبقات الكبرى» (١٢٩/٢) ط: الشرفية بالخرنفش بمصر لسنة ١٣١٥ هـ. منذ ١٣١ سنة.

«ومن الأولياء سيدي علي وحيش -رضي الله عنه- كان من أرباب الأحوال، وكان يأتي مصر والمحلة وغيرهما من البلاد، وله كرامات وخوارق واجتمعت به يومًا في خط بين القصرين فدعا لي. وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة ويقول لن: «أمسك رأسها حتى أفعل فيها».

فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمع أيَ شيخ البلد ونزل من على حمارته وأمسك رأسها وأخذ الولي سيد الشعراني يفعل فيها-ثم يقول الشعراني: وإن سمع حصل له- أي لشيخ البلد- خجل عظيم والناس يمرون عليه.

مات -رحمه الله تعالى- بالنحارية سنة سبع عشرة وتسعمائة -رضي الله عنه-». اهـ.

رابعا: التحقيق:

١- هذا هو كتاب الشعراني الذي يقول عنه: «هذا كتاب فيه طبقات الأولياء الذين يُقتدى بهم في طريق الله».

٢- هذا هو كتاب الشعراني الذي يقول عنه: «مقصودي فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال».

٣- هل هذه هي آداب المقامات والأحوال، أم هي أوحال المقامات والأحوال؟!

٤- حقًا: إن شعب الإيمان مقياس أولياء الرحمن، تحقيقًا لقول الله تعالى في صفات أوليائه: «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ»، وقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من شعب الإيمان». اهـ.

٥- أين الحياء الذي أفرده الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالذكر في شعب الإيمان عند أصحاب المقامات والأحوال وكرامات سيدهم وحيش التي يستحي من عنده ذرة حياء أن يذكرها ولا أجد ردًا على هذا الصنيع إلا ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٦١٢٠) من حديث أبي مسعود وهو البدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، وإن تعجب فعجب أن يجزم الشعراني لسيدهم علي وحيش في قصة كرامات الحمارة بأنه -رضي الله عنه- ويكررها مؤكدًا، ونقول: إن رضا الله مقيدٌ بالحياء والخشية، واقرأ إن شئت قول الله تعالى: «رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ» (البينة:٨).

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد / الشيخ/ علي حشيش

«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق».

الحديث: لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٣١) مكتبة الحرم «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «البزار ك هب عن أبي هريرة».

قلت: «البزار، ك، هب» ترمز «البزار» للبزار في «مسنده»، وترمز «ك» للحاكم في «مستدركه»، وترمز «هب» للبيهقي في «شعب الإيمان» وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولا: التخريج:

الحديث: أخرجه البزار في «مسنده» (١٧٧/١٥) ح(٨٥٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٢٤/١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٣/٦) ح (٨٠٥٤). ثلاثتهم عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعًا.

ثانيا: التحقيق:

١- علة هذا الحديث: عبد الله بن سعيد المقبري: أورده الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٣٢٨٨/١٨١/١٠)، وقال: وهو عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، واسمه كيسان المقبري أبو عباد الليثي.

روى عن: أبيه سعيد بن أبي سعيد المقبري، وجده أبي سعيد المقبري، وعبد الله بن أبي قتادة.

وروى عنه: سفيان الثوري وكنّاه ولم يُسمّه. قلت: كناه ولم يسمه كما في رواية البيهقي «سفيان عن أبي عباد بن سعيد»، ولكن سمّاه كما في رواية الحاكم (سفيان عن عبد الله بن سعيد المقبري). وروى عنه: الفضل بن موسى في رواية الحاكم أيضا، وروى عنه: القاسم بن مالك المزني كما في رواية البزار، وروى عنه: عبد الله بن إدريس كما في رواية أبي نعيم، وروى عنه: محمد بن فضيل كما في رواية أبي يعلى.

٢- استنتاج: نستنتج من هذا الإحصاء أن هذا الحديث مشهور عن عبد الله بن سعيد المقبري حيث رواه عنه خمسة رواة.

٣- عبد الله بن سعيد المقبري في أشد درجات الضعف قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٣٥٣/٤٢٩/٢): «عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه واه بمرة».

قال ابن معين: ليس بشيء؛ وقال: مرة: ليس بثقة، وقال الفلاس: منكر الحديث متروك، وقال الدارقطني: متروك ذاهب، وقال أحمد: متروك، وقال يحيى بن سعيد: استبان لي كذبه، وقال فيه البخاري: تركوه، ثم أورد هذا الحديث وجعله من مناكيره.

ثالثا: طريق آخر:

هناك طريق آخر أخرجه الحافظ البزار في «مسنده» (١٩٣/١٦) ح(٩٣١٩) قال حدثنا أحمد بن الوزير، حدثنا عاصم، حدثنا طلحة، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم....» الحديث.

التحقيق:

هذا الحديث لا يصح: آفته الراوي (طلحة)، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٠٠٨/٣٤٠/٢): «طلحة بن عمر والحضرمي المكي صاحب عطاء. قال أحمد والنسائي: متروك الحديث».

وقال البخاري وابن المديني: ليس بشيء.

قلت: إذن هذا الطريق يزيد الطريق الأول. وهنًا على وهن؛ لشدة ضعفه.

وهناك طريق ثالث أخرجه الحافظ البزار في «مسنده» (٩٩/١٧) ح (٩٦٥١) ولا يصح من هذا الطريق أيضًا؛ لأن فيه علة خفية.

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

الكلام عن: (الجهة) (المكان) (الحيز)

(٨)

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فعلى إثر الحديث على مدار السبع حلقات الماضية في: تحقيق القول عن مصطلح (الجسمية) باعتباره من الألفاظ الموهمة والمُجملة التي بسببها كفَّر الأشعريةُ أهلَ السنة بزعم أنهم (مجسمة)، وفي: ردِّ عادية من لم يستفصلوا وطفقوا يتهمون مثبتة الصفات بمن فيهم: جمهور الصحابة وتابعيهم بإحسان بـ(التجسيم)، يأتي حديثنا في هذه الحلقات عن ألفاظ أخر موهمة: هي: (الجهة والمكان والحيز)، بقصد معرفة ما بها من صواب وخطأ، ولرد عادية الأشعرية في مخالفتهم لأهل السنة، بل والطعن فيهم وفي معتقداتهم بنفس التهمة ولنفس السبب.

ومن المعلوم بالضرورة أن رؤية الله يوم القيامة أمر لم يختلف فيه الأشعرية عن أهل السنة في وقوعه لأهل الإيمان يوم القيامة، بيد أن الخلاف بينهما يكمن في: أيُرى سبحانه من جهة؛ أم من غير جهة؟. ففي حين جنح الأشعرية إلى: (أنه تعالى يُرى لا من جهة)، يَرى أهل السنة: (أن هذا لا يتأتى بحال؛ وأنه يرى يوم القيامة من جهة، لكن على وجه يليق بجلاله ويوجب مباينة الخالق للمخلوق ولا نعلم كيفيته).

وانما أوتي الأشعرية فيما جنحوا إليه، من جهة: أنهم ينفون عن الله العلو والفوقية وأنه تعالى لا في مكان، فهو عندهم كما هو لدى المعتزلة: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولا يسرة.. إلخ، وقد أداهم هذا التفصيل في ذكر السلوب إلى نفي (الجهة)، ولم يكفهم هذا حتى اتهموا من أثبتوها من أهل السنة على النحو المباين لما للمخلوقين بأنهم (مجسمة) بما يعني: تكفيرهم.

وفي تقرير ما ذكرنا يقول البيجوري في شرحه على (جوهرة التوحيد) لإبراهيم اللقاني ص١٠١ وما بعدها - وقد عظمت البلوى بهما وبجميع من دان بقولهما سلفًا وخلفًا من متأخري الأشعرية -: "إنه إذا ورد في القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات (الجهة) أو (الجسمية) أو (الصورة) أو (الجوارح)، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا: (المجسمة) و(المشبهة): على تأويل ذلك، لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذُكر بحسب ظاهره".

وبعد تدليسه على أهل الحق الذي يعني

بهم: أهل السنة الذين لم يقولوا بالتأويل ولا بالتفويض، وبعد إلصاقه بهم تهمة التجسيم الذي يعني رميهم بالكفر، يواصل البيجوري خلطه ومزاعمه فيقول نافيًا جميع الصفات الخبرية والفعلية جراء نفيه المفصل وتنزيهه المشوب بالتعطيل لجميع الصفات (الخبرية) من نحو: (اليد والوجه)؛ و(الفعلية) من نحو: (الاستواء والنزول ورؤيته تعالى يوم القيامة من جهة)، يقول: "ف ما يوهم (الجهة): قوله تعالى: « يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ » (النحل: ٥٠)، فالسلف يقولون: (فوقية لا نعلمها)، والخلف يقولون: (المراد بالفوقية: التعالي ﻓﻲ العظمة، والمعنى: يخافون أي الملائكة ربهم من أجل تعاليه ﻓﻲ العظمة؛ أي: ارتفاعه فيها)، ومنه قوله: « ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ » (طه: ٥) فالسلف يقولون: (استواء لا نعلمه)؛ والخلف يقولون: (المراد به: الاستيلاء والملك)، إلخ".

فنفى كسائر الأشعرية ضمن ما نفى من الصفات: صفتي العلو والفوقية لله، كما نفى: صفات نزوله تعالى ومجيئه واستوائه ورؤيته من جهة، ولم يكتف بذلك حتى ادَّعى على أهل السنة القول بالتفويض، وكان لازم كلامه اتهام النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة: بـ(التشبيه التجسيم، وبأنهم يقولون بأن الله له جرم وحيز)، كونهم وجميع الأنبياء وتابعيهم أثبتوا كل ما نفاه الأشعرية من الصفات الخبرية والفعلية، على الرغم من أن ما أثبتوه إنما أثبتوه دون ما تشبيه ولا تجسيم ولا تأويل ولا تعطيل، كما نفوا أن يكون له تعالى جرمًا أو حيزًا بالمعنى الذي أراده الأشعرية، مع إقرارهم بأن هذه الألفاظ مبتدعة لا يجوز النطق بها ولا مناص من أن يستفصل عنها.

كذا بما يعني: أن سلف الأمة وأهل السنة كانوا يقولون بإثبات الجهة على النحو المباين لما للمخلوقين، وبإثبات رؤيته سبحانه بنفي الكيفية عنها، يقول القرطبي ت٦٧١ ﻓﻲ تفسير قوله تعالى: « ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ » (الأعراف: ٥٤): "كان السلفُ الأوَّل لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله كما نطق كتابه وأخبرت رسله - يعني: على نحو يوجب مباينة الخالق للمخلوق - ولم يُنكر أحد من السلف أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تُعلم حقيقته كما قال مالك: (الاستواء معلوم)، يعني: ﻓﻲ اللغة، (والكيف مجهول)".

وقد نقله عنه الحافظ الذهبي - ﻓﻲ العلو ص١٩٥، وهو بالمختصر ص٢٨٦ - وردَّ به على ما سبق أن ذكره القرطبي من مقولة "المتكلمين الذين يقولون: (إذا وجب تنزيه الباري عن الحيز، فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة: تنزيهه عن الجهة)، فليس - تعالى - بجهة (فوق) عندهم، لما يلزم من ذلك عندهم أنه متى اختص بجهة أن يكون ﻓﻲ مكان وحيِّز، ويلزم على المكان والحيز: الحركة والسكون للتميُّز والتغيُّر والحدوث، هذا قول المتكلمين"، مشيرًا إلى أن ذلك، إنما هو: من لوازم المخلوق وﻓﻲ حق الأجسام، وأما بالنسبة للخالق فالأمر على خلافه.

ويأتي ضمن من أدركوا خطأ ما جنح إليه الأشعرية لنفس العلة:

ابن رشد المعروف بالحفيد ت٦٠٥، وقد بدا هذا واضحًا ﻓﻲ كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة ﻓﻲ عقائد الملة)، حيث أثبت فيه صفة (الجهة) التي تقتضي وصفه تعالى بالعلو والفوقية والاستواء على العرش والنزول، فقال ص٩٣: "وأما هذه الصفة، فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل: « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » (الحاقة: ١٧)، « تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ » (المعارج: ٤)، « ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ » (الملك: ١٦)، إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولًا، وإن قيل فيها: (إنها من المتشابهات، عاد الشرع كله متشابهًا)، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله ﻓﻲ السماء وأن منه

تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب".. إلى أن قال في حكاية الإجماع على إثباتها: "وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك".

وهنا يتوسع ابن رشد في بيان "الشبهة التي قادت نفاة (الجهة) إلى نفيها"، فيحصرها في "أنهم اعتقدوا أن إثبات (الجهة) يوجب إثبات (المكان)، وإثبات (المكان) يوجب إثبات (الجسمية)"، وفي رد ذلك يقول: "إن هذا كلّه غيرُ لازم، فإن الجهة غير المكان"، وجعل يسترسل في ذلك ويبدي وجه الخطأ لمن نفي (الجهة) وأوّل على إثره ظواهر الشرع، وانتهى إلى أن "أكثر التأويلات التي زعم القائلون بها: أنها المقصود من الشرع، إذا تؤمّلت، وُجدتْ ليس يقوم عليها برهان".. يقول ابن القيم في اجتماع الجيوش ص١٣٢ معلقًا: "فهذا كلام فيلسوف الإسلام الذي هو أخبر بمقالات الفلاسفة والحكماء، وأكثر اطلاعًا عليها من ابن سينا، الذي كان يخالفه نقلًا وبحثًا".

أ- تناقضات من نفوا الجهة عن رؤية الله يوم القيامة:

والعجيب في الأمر: أن يسوق البيجوري إبان حديثه عن تعطيل الاستواء والجهة وغيرهما، كلام مالك في الإثبات دون تأويل ولا تفويض فيقول بعد ما ذكرناه له مباشرة: "وسأل رجل الإمام مالكًا عن هذه الآية: آية الاستواء، فأطرق رأسه مليًا ثم قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًا)، فأمر به فأخرج".

والأعجب أن يدعي البيجوري أنه على مذهب أبي الحسن الأشعري، وما تلفظ الأشعري بأيٍّ من ذلك ولا بكلمة واحدة منه، لا الأشعريُّ ولا غيره من أهل الحق الذين تضافرت أقوالهم في إثبات جميع الصفات بلا تأويل ولا تفويض في معناها بما في ذلك رؤية الله عيانًا مع إثبات الجهة المباينة لخلقه، ولا ندري ما الفرق بين الأشاعرة في ذلك وبين غيرهم من فرق الضلال التي سماهم أبو الحسن في بداية كتابه: (الإبانة) وجعل كتابه هذا في الرد عليهم، لاسيما وقد أداهم اتّباع طريقة الجهمية في النفي المفصّل إلى: الكذب على أهل الحق وقصر الصفات على سبع وتعطيل وتأويل ما عداها، فيا ويح من ترك ما هو معروف في الكتاب والسنة وآثر عليه الهوى فأعماه عن نور الوحي!، وقد مرّ بنا ما به تقوم الحجة على من مال إلى هذه الطريقة وآثرها على منهج أهل السنة والجماعة في إثبات كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله.

والحق أن إشكالية متأخري الأشاعرة ومحل خلافهم مع أهل السنة: يكمن في: معرفة أن لفظ (الجهة) لفظ مجمل وليس ثمة نصوص تثبته أو تنفيه، ولو أن الأشعرية استفصلوا لانتهى الخلاف ولتم التوافق التام بينهم وبين أهل السنة، وفي توضيح ذلك يقول القاضي ابن أبي العز في شرح قول الطحاوي: (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا): "وليس تشبيه رؤية الله برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟!، ومن قال: (يُرى لا في جهة) فليراجع عقله!، فإما أن يكون مكابرًا لعقله أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: (يُرى لا أمام الرائي ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره، ولا فوقه ولا تحته، ردّ عليه كل من سمعه بفطرته السليمة".

يقول: "ولهذا ألزم المعتزلة - الذين ينفون الرؤية أصلًا - من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: (كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة؟!)، وفي ردّ عادية هؤلاء وأولئك: ذهب أهل السنة إلى أنه إنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدّق الرائي البصر في شعاعها ضَعُف عن رؤيتها، لا لامتناعٍ في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة: أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته، ولهذا لمّا تجلى الله للجبل: «وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا

أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (الأعراف: ١٤٣) بأنه لا يراك حيٌّ إلا مات؛ ولا يابسٌ إلا تدهده".

واستطرد يقول: "وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام؛ إلا لمَّا وافقوهم على أنه تعالى: لا داخل العالم ولا خارجه، لكن قول (مَن أثبت موجودًا، يُرى لا في جهة)، أقرب إلى العقل من قول (مَن أثبت موجودًا قائمًا بنفسه، لا يُرى ولا في جهة)، ويقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة: (أتريد بالجهة أمرًا وجوديًّا أو أمرًا عَدَميًّا؟)؛ فإن أراد بها أمرًا وجوديًّا كان التقدير: (كل ما ليس في شيء موجود، لا يُرى)، وهذه المقدمة ممنوعة ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة، فإن سطح العالم يمكن أن يُرى، وليس العالَمُ في عالَم آخر، وان أردتَ بالجهة أمرًا عدميًّا، كانت المقدَمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه ليس في جهة بهذا الاعتبار".

ب- ما يجب أن يتوجه إليه الانتقاد للأشاعرة في نفيهم الجهة مطلقًا:

وابتناء على ما سبق فإن مَا يجب أن يتوجه إليه انتقاد أَهل الحق للأشاعرة، ما يلي:

١-أن نصَّهم بأن من المستحيلات على الله: (الجهة والمكان) إلى غير ذلك مما يتكئون لأجله على نفي صفة النزول وغيرها من صفات الأفعال؛ وكذا نصَّهم على أن منها: (الجرم، ومماثلة الحوادث في الصفات، أو أن تتصف ذاته بالحوادث فيها) إلى غير ذلك مما يتكئون لأجله على نفي الصفات الخبرية.. تنصيص باطل.

لأنه تكليف بما لم يَرِد به دليل، فقد كانت العامة تسأل النبي عليه السلام عما يجب عليهم من شرائع الدين وأصوله، فلم يكلفهم بمعرفة ذلك أو يُسَمِّها لهم، ولم يُؤْثَر عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين أن أحدًا منهم نَقَل أو أَوْجب نفي وصف الله بأيٍّ من تلك الصفات الخبرية أو الفعلية، فكيف يحيلها الأشاعرة وينفونها ويجعلونها قسيمة الصفات الثابتة بالكتاب والسنة على الرغم من أن جميعها ثابت بهما على نحو يوجب مباينة ما للمخلوقين؟!.

٢-أن طريقة التفصيل في النفي: والإجمال في الإثبات التي انتهجها الأشاعرة تأثرًا بالجهمية والمعتزلة، حيث أوجبوا على المكلف أن يعرف أن الله ليس كذا ولا كذا ولا كذا.. طريقةٌ مخالفة للكتاب والسنة.

٣-أن التفصيل في النفي يوقع النافي في نفي ما أثبته الله لنفسه. لأن النافي ينطلق في النفي من فهمه هو وإدراكه، وهذا ما وقع فيه اللقاني في نحو ما أفاده في هداية المريد: من أنه تعالى "يستحيل عليه الحدوث والمماثلة للحوادث، بأن يكون جرمًا تأخُذُ ذاته سبحانه قدرًا من الفراغ"، وهو قول باقي الأشاعرة.. فقد أتى اللقاني بألفاظ مجملة لا بد فيها من التفصيل الذي ذكرناه؛ لأن هذا النفي فضلًا عن أنه لم يأت بكتاب ولا سنة، هو مشتمل على معان باطلة وأخرى صحيحة.

٤-أن الاعتماد على نفي صفات الله الثابتة بناء على نفي الأشاعرة التشبيه أو تحت مسمى (مخالفة الحوادث) باطل، لما في مصطلح (نفي التشبيه) نفسه من الإجمال الذي يَلتبس فيه الحق بالباطل بالنسبة للأشاعرة، لأنهم اعتبروا أن ما نفوه من صفات الخالق التي يوصف بها المخلوق من باب التشبيه، فنفوه عن الله وأدّاهم نفيهم هذا إلى نفي صفات كثيرة كـ(اليد والوجه والقَدَم) و(النزول والاستواء والمجيء) ونحوها من الصفات الخبرية والفعلية، ولما هو معلوم ومتيَقَّن من أن إثبات صفات الخالق مما يوصف به المخلوق؛ لا يلزم منه التشبيه؛ لأن إثبات صفة كل موصوف إنما هو مرتبط بما يليق به، فإذا وصفنا الخالق بأن له (يدين) فـ(يَده) تليق بكماله وأنها غير مخلوقة، واذا وصفنا المخلوق بـ(اليد) فإنها تليق بعجزه ومخلوقيته، فلا وجه للمشابهة هنا بحال، وهذا هو منهج الكتاب والسنة.

وللحديث صلة بإذن الله.

شعبان شهر مُحاسبة النفس

إعداد الشيخ/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛

وبعد: فشهر شعبان شهر محاسبة النفس عما قدمت في العام الماضي. ولنا حول هذا الأمر عدة وقفات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: وجوب محاسبة النفس في كل وقت:

قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ» (الحشر: ١٨).

هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب المُوصِّلة إليه، وان رأى نفسه مقصرًا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويُقايس بين منن الله عليه واحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يُوجب له الحياء بلا محالة. (تفسير السعدى: ص٨٥٣)

ثانيا: لماذا أحاسب نفسي في شهر شعبان؟

لعدة أسباب منها:

(١) شهر شعبان نهاية السنة العبادية:

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» سنن النسائي (٢٣٥٧). السلسلة الصحيحة (١٨٩٨)

وَرَفْعُ أَعْمَالِ الْعَامِ مُجْمَلَةً، وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ شَعْبَانَ آخِرَ السَّنَةِ الْعِبَادِيَّةِ، وَأَنَّ أَوَّلَهَا رَمَضَانُ عِنْدَ اللَّهِ. (مرقاة المفاتيح ٤/١٤٢٢).

(٢) الاستيقاظ من الغفلة:

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ". وفي هذا دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، وأن ذلك محبوب لله عز وجل. (لطائف المعارف: ص١٣١).

(٣) ختم السنة العبادية بخير:

هدف النبي صلى الله عليه وسلم هو أن تبدأ كتاب أعمالك بصيام رمضان، وينتهى بصيام شعبان، لعل الله تعالى أن يعفو عنك لماذا؟ لأن الأعمال بالخواتيم؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: قَالَ النَّبِيُّ صلى

الله عليه وسلم: "إنَّما الأعمالُ بالخواتيم" (صحيح البخاري: ٦٦٠٧). وفي هذا الحديث حث على مواظبة الطاعات، ومحافظة الأوقات عن المعاصي، والسيئات خوفًا من أن يكون ذلك آخر عمله. (مرقاة المفاتيح ١/١٥٥)، والأعمال بالخواتيم فإذا كانت البداية والختام بخير شمل الخير ورجا المغفرة. (التنوير شرح الجامع الصغير: ٢٣/٨).

(٤) تخفيف الحساب يوم القيامة:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا؛ فإنَّه أهون عليكم في الحساب غدًا، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزيَّنوا للعرض الأكبر «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ» (الحاقة: ١٨). (إغاثة اللهفان: ص٩٤).

(٥) الفوز بالجنة:

الذي يحاسب نفسه أولاً بأول يكون قد لبَّى نداء الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدَّمت لغد واتقوا الله»، وحاسب نفسه وألزمها تقوى الله تعالى في كل الأمور فكانت الجائزة العظمى، وهي الفوز بالجنة، قال تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» (الحاقة: ١٩- ٢٤).

ثالثًا: كيف أحاسب نفسي في شهر شعبان؟

شهر شعبان هو شهر تُرفع فيه أعمال السنة إلى الله تعالى؛ فليراجع المسلم فيها نفسه، وهذا مثل التاجر الذي يعمل جردًا كل سنة، فيحاول يعمل جردًا خلال السنة الماضية حتى يستعد لرمضان بقلب تائب منيب، ومن ذلك:

(١) خمس أسئلة حاسب نفسك الآن قبل فوات الأوان:

عنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزولُ قدمُ ابْنِ آدمَ يومَ القيامةِ منْ عندِ ربِّه حتى يُسألَ عنْ خمسٍ، عنْ عُمُره فيمَ أفناهُ، وعنْ شبابه فيمَ أبلاهُ، وماله من أينَ اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (سنن الترمذي ٢٤١٦، صحيح الجامع: ٧١٧٦).

(٢) حاسب نفسك على الصلاة فرضًا ونفلًا:

عنْ أبي هُريْرة، عنْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَبُ به العبْدُ يومَ القيامة منْ عمله صلاتُه، فإنْ صلحتْ فقدْ أفلحَ وأنجح، وإنْ فسدتْ فقدْ خابَ وخسر، فإنْ انْتقص منْ فريضته شيْءٌ، قال الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: انْظُرُوا هلْ لعبْدي منْ تطوُّعٍ فيُكمَّلَ بها ما انْتقصَ من الفريضة، ثمَّ يكونُ سائرُ عمله على ذلك" (سنن الترمذي: ٤١٣. صحيح الجامع: ٢٥٧٤).

(٣) حاسب نفسك على مظالم العباد وردّها في الدنيا قبل الإفلاس في الدنيا والآخرة:

عنْ أبي هُريْرة، أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «أتدْرُون ما المُفْلسُ؟» قالوا: المُفْلسُ فينا منْ لا درْهم له ولا متاع، فقال: «إنَّ المُفْلسَ منْ أُمَّتي يأْتي يوْم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأْتي قدْ شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطى هذا منْ حسناته، وهذا منْ حسناته، فإنْ فنيتْ حسناتُه قبْل أنْ يُقْضى ما عليْه أُخذ منْ خطاياهُمْ فطُرحتْ عليْه، ثُمَّ طُرح في النَّار» (صحيح مسلم: ٢٥٨١).

(٤) الصلح ونزع الخصام:

بمعنى راجع نفسك عن خصام العباد واذهب لصلتهم حسبة لله تعالى رجاء أن يغفر لك؛ فعنْ أبي هُريْرة، عنْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تُعرضُ أعمالُ النَّاس في كلِّ جُمُعة مرَّتيْن، يوْم الاثْنيْن ويوْم الخميس، فيغْفرُ اللهُ عزَّ وجلَّ في ذلك اليوْم، لكُلِّ امْرئٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شيْئًا، إلا امْرأً كانتْ بيْنهُ وبيْن أخيه شحْناءُ، فيُقالُ: ارْكُوا هذيْن حتَّى يصْطلحا، ارْكُوا هذيْن حتَّى يصْطلحا" (صحيح مسلم ٢٥٦٥). ومعنى (اركوا): أخروا أو اتركوا.

(٥) إبراء الذمة من الصيام الواجب:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانَ يكُونُ عليَّ الصَّوْمُ منْ رمضان فما أسْتطيعُ أنْ أقْضيهُ إلا في شعْبان. (صحيح مسلم ١١٤٦)، وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وجماهير السلف والخلف: أنَّ قضاء رمضان في حق منْ أفطر بعذر كحيض وسفر يجب على التراخي، ولا يشترط المبادرة به في أول الإمكان ولا يجوز تأخيره عن شعبان الآتي. (شرح النووي ١٤١/٤).

والحمد لله رب العالمين.

شهر شعبان وتحويل القِبلة

إعداد الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد اعتاد كثير ممن ينتسبون الى الاسلام بالاحتفال بما يسمى ليلة النصف من شهر شعبان، وأنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وأنها الليلة التي تم فيها تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، وروجوا لاحتفالاتهم هذه بأحاديث لم تثبت صحتها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- منها: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها». قال الألباني: حديث موضوع (السلسلة الضعيفة، ٢١٣٢)، وضعفه ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٥٤٢).

وقال قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها عن النبي ولا عن أصحابه شيء. انتهى.

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: ما ورد في فضل الصلاة في تلك الليلة كله موضوع.

وكذلك ما ابتدعوه فيما سموه دعاء ليلة النصف من شعبان ونسبته زورًا إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، وهو منه براء.

والذي صح من الأحاديث عن ليلة النصف من شعبان هو ما رواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» حسنه الألباني.

وأما زعمهم أن ليلة النصف من شعبان هي التي يفرق فيها كل أمر حكيم فهذا يخالف صريح القرآن بأن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر وليست ليلة النصف من شعبان؛ قال ابن كثير -رحمه الله-: "وهي ليلة القدر كما قال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» (القدر: ١)".

ومعلوم أن ليلة القدر كانت في شهر رمضان وليست في شهر شعبان؛ لقول الله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (البقرة: ١٨٥).

وقال تعالى من القرآن: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » (الدخان: ٣-٤).

فمن قال: إن ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم فإن نص القرآن يخالف ذلك.

ومعلوم أن شهر شعبان من الأزمنة الفاضلة التي كان يخصها النبي -صلى الله عليه وسلم- بمزيد من الطاعة، فعن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: « كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان » (متفق عليه).

وإنما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم في شعبان لأمرين ذكرهما:

الأول: أنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان.

الثاني: أنه شهر ترفع فيه الأعمال كما ورد في حديث الإمام أحمد والنسائي عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ».

وأما ما ورد بشأن تحويل القبلة فلم يأتِ نص صريح بحدوث ذلك التحويل أنه كان في ليلة النصف من شعبان، ومعلوم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد فرضت عليه الصلاة ليلة الإسراء والمعراج فصلى قبل الهجرة، وهو في مكة إلى بيت المقدس؛ حيث كان يتسنى له أن يستقبل الكعبة وبيت المقدس معًا وهو في الصلاة؛ حيث كان يصلي بين الركنين الحجر الأسود والركن اليماني، فلما هاجر إلى المدينة لم يكن يستطيع الجمع بين الكعبة وبيت المقدس فصلى بأمر الله متجهًا إلى بيت المقدس مدة ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا كما في الحديث المتفق عليه عن البراء -رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أو صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد، وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي إلى قبلة بيت المقدس، ويحب أن يصرف إلى الكعبة.

وقال لجبريل: « وددت لو أن يصرف الله وجهي عن قبلة اليهود، فقال: إنما أنا عبد فادعُ ربك، واسأله فجعل يقلب وجهه في السماء يرجو ذلك »؛ حتى أنزل الله عليه: « قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ » (البقرة: ١٤٤).

يقول الشيخ أبو الوفاء درويش -رحمه الله- في كتاب القبلة: لا عجب في تشوق النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى قبلة إبراهيم فقد بعث

بإحياء ملته وتجديد شريعته وإظهار دعوته. انتهى.

« ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (النحل: ١٢٣).

وقد كان تحويل القبلة امتحانًا عظيمًا امتحن الله به قلوب المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب والمشركين.

فأما المؤمنون فقد ثبَّتهم الله بالقول الثابت فاتبعوا الرسول وصلوا إلى القبلة الجديدة بغير اعتراض ولا تكبُّر، بل عن رضا وتسليم.

وأما المنافقون فقد أخذوا يرجفون بالمدينة يحاولون أن يقذفوا الأمر في قلوب المؤمنين، ويقولون وما يدري محمدًا أين يتوجه، فلو كانت القبلة الأولى حقًّا فقد تركها، وانصرف إلى قبلة غيرها، ولو كانت القبلة الثانية هي الحق فقد كان على الباطل.

وأما اليهود فقالوا: لقد خالف محمد الأنبياء قبله ولو كان نبيًا حقًّا لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء قبله.

وأما المشركون فقالوا: يوشك أن يرجع محمد إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا.

ونظرًا لأن الله -عز وجل- يعلم ما سيحدث نتيجة تحويل القبلة؛ فقد قصَّ علينا نبأ التحويل بالكثير من الآيات في سورة البقرة تثبيتًا لقلوب المؤمنين وردًّا على المنافقين والمشركين وأهل الكتاب؛ فجاءت الآيات في قول الله تعالى: «مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» إلى قوله تعالى: « فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ » (البقرة: ١٥٢). ما يقرب من ستة وأربعين آية تمهد لهذا الحدث وتتحدث عنه.

يقول تعالى: « سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (البقرة: ١٤٢).

فالكعبة هي قبلة المسلمين الذين يتوجهون إليها في صلاتهم كل يوم خمس مرات؛ فالله سبحانه كما أنه إله واحد فجعل قبلة المسلمين واحدة يتوجهون إليها من مشارق الأرض ومغاربها. وفي هذا الأمر إشارة إلى وحدة المسلمين واتحادهم واتجاههم إلى معبودهم الواحد فهم كذلك أمة واحدة، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدانهم وهم يد على من سواهم، وعلى المسلم أن يتعلم من درس تحويل القبلة الخضوع والاستسلام لأمر ربه في كل ما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام وأن يكون حال المؤمن مع أمر ربه: « سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (البقرة: ٢٨٥)، وإن على المسلم أن يتحول عن الشرك إلى التوحيد، وعن البدعة إلى السنة، وعن الباطل إلى الحق، وعن الشر إلى الخير.

والله تعالى يقول في سياق الحديث عن تحويل القبلة: « وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (البقرة: ١٤٨ - ١٥٠).

هدانا الله جميعًا سواء السبيل وأتم نعمته علينا بأن يحيينا مسلمين وأن يتوفانا مسلمين. وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

دروس وعِبر من غزوة أُحُد

إعداد

د. سيد عبد العال

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد سبق لنا عرض غزوة أُحُد، وما جرى فيها من أحداث على سبيل الإيجاز، والاختصار، وبقي لنا الإشارة إلى بعض الفوائد المأخوذة من حديث القرآن عن غزوة أحد؛ فقد أنزل الله على إثر هذه الغزوة ثمان وخمسين آية من سورة آل عمران، ابتدأت بذكر أول مرحلة من مراحل الإعداد للمعركة في قوله- تعالى-: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (آل عمران ١٢١). وانتهت ببيان مجمل للحكم والدروس المستفادة التي أرادها الله منها فقال: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (آل عمران ١٧٩).

وقد وصفت هذه الآيات المعركة وصفًا دقيقًا، وكان فيها تربية للأمة على مر العصور والأجيال، واليكم بعض هذه الدروس والعبر.

١- في بيان أثر المعاصي في النصر والهزيمة، وأن الله وعد بالنصر مشروطًا بشرط، وأن وعد الله بالنصر ما زال قائمًا، وشرطه معروف؛ فمن أراد الوعد؛ فعليه بالشرط، وأن لله سننًا كونية لا تحابي أحدًا، وأننا لسنا أعز على الله من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم.

وبيان ذلك أن المسلمين ظهروا على المشركين أول اليوم، وكانت لهم الغلبة عليهم، ثم انقلب الحال فجأة! فما السبب؟

إنه بسبب معصية واحدة خالف فيها الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صور القرآن ذلك أحسن تصوير، وأبلغه، وبين الله لنا موطن الداء- ومن عرف الداء عرف الدواء، ومن عرف الدواء، ولم يعمل به؛ فلا يلومن إلا نفسه-؛ قال تعالى: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (آل عمران ١٥٢).

وقوله «تَحُسُّونَهُمْ»: تقتلونهم. «بِإِذْنِهِ»: بأمره ودعوته. «فَشِلْتُمْ»: جبنتم وضعفتم. «صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ»: كفكم عنهم وحولكم. «لِيَبْتَلِيَكُمْ»: ليختبركم.

وبالمعاصي تدور الدوائر، وتنزل المِحَن؛ ففاضت أرواح في تلك الغزوة بسبب خطيئة، وبالمعصية هلك من هلك من الأمم السابقة! قال تعالى: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (العنكبوت: ٤٠) فالمعاصي سبب كل عناء، وطريق كل شقاء.

ثم تأمل هذه الفتوى السماوية في قول الحق سبحانه: «أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (آل عمران ١٦٥)؛ قال الشنقيطي بعد ذكر ما حدث في غزوة أحد واستشكال بعض المسلمين ذلك: ففي هذه الفَتْوى السَّماويَّة بيانٌ واضِحٌ؛ لأنَّ سببَ تَسليطِ الكُفَّار على المُسلمينَ هو فشلُ المُسلمين، وتنازُعُهُمْ في الأمر، وعِصيانُهُمْ أمرَهُ صلَّى الله عليه وسلَّم، وإرادةُ بعضِهِمُ الدُّنيا مُقدَّمًا لها على أمرِ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ومَنْ عرفَ أصلَ الدَّاءِ عرفَ الدَّواءَ، كما لا يَخْفى. أضواء البيان (٣/ ٥٣).

٢- خطورة إرادة الدنيا وأثر ذلك على النصر:

وهذا من جنس ما سبق؛ لأن النصر توأم إرادة الآخرة، أو هو استدراج لعبد أراد الله إهلاكه، وقد بدا ذلك واضحًا جليًا في هذه الغزوة، وقد لا يكتشف المرء عيوب نفسه ولو كان صالحًا تقيًا، والقُرآنُ الكريم يُسلِّطُ الضَّوءَ على خَفايا القُلوب، التي ما كان المُسلمونَ أنْفُسُهُم يعرفونَ وُجودَها في قُلوبِهِم؛ فكانَ عبدُ الله بنُ مسعود -رضي الله عنه- يقول: فلَوْ حلفتُ يومئذٍ -رجوتُ أنْ أبرَّ-: إنَّهُ ليسَ أحدٌ منَّا يُريدُ الدُّنيا، حتَّى أنزلَ الله عزَّ وجلَّ: «منكُمْ منْ يُريدُ الدُّنيا ومنكُمْ منْ يُريدُ الآخرةَ ثُمَّ صرفكُمْ عنهُمْ ليبتليكُمْ» مسند أحمد (٤٤١٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وبذلك يضعُ قُلوبَهُمْ أمامَهُمْ مَكْشُوفَةً بما فيها، ويُعرِّفُهُمْ منْ أيْنَ جاءتْهُمُ الهزيمةُ ليتَّقوها (٧). اللؤلؤ المكنون (٢/ ٦١٧). قال ابن عباس: "وإنما عنى بهذا الرُّماة". المستدرك (٣١٦٣) وصححه الحاكم.

وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم، واقتلاع حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم، وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس، وتلفتها إلى الدنيا، ومتاعها. المستفاد من قصص القرآن (٢/٩٦).

٣- ويتخذ منكم شهداء، وأن الشهادة مطلب شرعي لمن أراد الله والدار والآخرة:

قال تعالى: «... وليَعلَمَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا ويتَّخذَ منكُمْ شُهداءَ...»؛ وعنْ أبي الضُّحى قال: نزلتْ في قتلى أحُد: «ولا تحسبَنَّ الَّذينَ قُتلوا في سبيلِ الله أمواتًا بلْ أحياءٌ عندَ ربِّهِمْ يُرزقونَ»، ونزلَ فيهِمْ: «ويتَّخذَ منكُمْ شُهداءَ»، وقُتلَ منهُمْ سبعونَ رجُلًا، أربعةٌ منَ المُهاجرينَ، وهُمْ: حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلب منْ بني هاشم، ومُصعبُ بنُ عُميرٍ منْ بني عبدِ الدَّار، والشَّمَّاسُ بنُ عُثمانَ، منْ بني مخزوم، وعبدُالله بنُ جحش، منْ بني أسدِ بنِ خُزيمةَ، وسائرُهُمْ منَ الأنصار. سنن سعيد بن منصور (٢٨٩٤). وقال ابن تيمية: ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء. شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٤٦).

٤- سُنة الله في الصراع بين الحق والباطل، وأن الهزيمة لو وقعت مرة؛ فلا ينبغي لأهل الحق أن يقعدوا عن طلب النصر، وأن الأيام دول، وأن الله يؤدب عباده بما فيه صلاحهم وهو اللطيف الخبير.

قال تعالي «ولا تهِنوا ولا تحزَنوا وأنتُمُ الأعلَوْنَ إن كنتم مؤمنينَ إنْ يمْسسْكُمْ قرْحٌ فقدْ مسَّ القوْمَ قرْحٌ مثْلُهُ وتلْكَ الأيَّامُ نُداوِلُها بيْنَ النَّاس»؛ قال ابن القيم: فجمعَ لهُمْ في هذا الخطابِ بيْنَ تشْجيعِهِمْ وتقْويةِ نُفوسِهِمْ وإحْياءِ عزائمِهِمْ وهِمَمِهِمْ، وبيْنَ حُسْنِ التَّسْليةِ، وذكْرِ الحِكمِ الباهرةِ الَّتي اقْتضتْ إدالةَ الكُفَّارِ عليْهِمْ فقالَ: «إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ» (آل عمران: ١٤٠)، فقدِ اسْتويْتُمْ في القرْحِ والألَمِ، وتبايَنْتُمْ في الرَّجاءِ والثَّوابِ، كما قالَ: «إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» (النساء: ١٠٤)؛ فما بالُكُمْ تهِنونَ وتضْعُفونَ عنْدَ القرْحِ والألَمِ، فقدْ أصابَهُمْ ذلكَ في سبيلِ الشَّيْطانِ، وأنْتُمْ أُصبْتُمْ في سبيلي وابْتغاءِ مرْضاتي. (زاد المعاد ٣/ ١٩٩).

٥- تمحيص المؤمنين:

قال تعالى في ذكر هذه الحكم: «وليُمحِّصَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا ويمْحقَ الكافرينَ».

المعنى الأول للتمحيص: التطهير والتنقية من الذنوب: قال ابن تيمية: ومن ذلك: أن يمحص الله الذين آمنوا؛ فيخلصهم من الذنوب؛ فإنهم إذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان، وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة، والهوان قال تعالى: «كلا إنَّ الانسان ليطغى (٦) أن رآه استغنى» (القيامة: ٦- ٧)، ثم قال: وقد شهدنا أن العسكر إذا انكسر خشع لله، وذل، وتاب إلى الله من الذنوب، وطلب النصر من الله، وبرئ من حوله، وقوته متوكلا على الله... وشواهد هذا الأصل كثيرة، وهو أمر يجده الناس بقلوبهم، ويحسونه، ويعرفونه من أنفسهم، ومن غيرهم، وهو من المعارف الضرورية الحاصلة بالتجربة لمن جربها، والأخبار المتواترة لمن سمعها. شرح الأصفهانية (١٤٧).

المعنى الثاني: تنقية الصف من المنافقين الذين دخلوا فيه، وليسوا من أهله؛ فإنهم إذا كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم، وعدوهم إذ الجميع يظهرون الموالاة فإذا غلبوا ظهر عدوهم قال تعالى: «وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» (آل عمران: ١٦٦- ١٦٧). شرح الأصفهانية (١٤٥).

٦- الأخذ بالأسباب؛ فقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين، ولبس لأمة الحرب، وكافح معه الصحابة، وقاتل عنه جبريل وميكائيل أشد القتال، رغم أن الله عصمه من القتل.

٧- التضحية من أجل الدين.

٨- العاقبة للمتقين.

٩- الابتلاء بذوي القربى.

١٠- «وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ».

١١- الأنبياء عباد لله تعالى؛ يعتريهم ويصيبهم ما يصيب البشر.

١٢- الاعتراف بالفضل لمن خدم هذا الدين، وأول ذلك الصحابة رضي الله عنهم.

١٣- حُبَ الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم.

١٤- تذكير المؤمنين بالسنن الكونية؛ قال تعالى: «قَدْ خَلَتْ من قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ».

١٥- ضرب المثل بالمجاهدين السابقين:
قال تعالى: «وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ...الآيات التي بعدها» (آل عمران: ١٤٦-١٤٨).

١٦- القيام بنصرة الدين على كل حال وفي أي ظرف.
قال تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»؛ وفي الآية: أن الواجب على الأمة القيام على نصرة هذا الدين ولو مات النبي صلى الله عليه وسلم أو قتل؛ فقد أدّى ما عليه من البلاغ، وليس من شرط الدفاع عن الدين أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم حيًا.

١٧- وما النصر إلا من عند الله:
«إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون» (آل عمران: ١٦٠).

ولكن هذا النصر له نواميس ثابتة عند الله عز وجل، نحن بحاجة إلى فقهها، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»، ونصر الله في الاستجابة له، والاستقامة على منهجه والجهاد في سبيله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تعليق القلوب بالله وحده

إعداد الشيخ عبده أحمد الأقرع
فرع اختاواي

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

فإن قضية التوحيد؛ كانت شغل المرسلين الشاغل، فاستنفدت جل جهدهم، تحمّل المرسلون في سبيلها فوق طاقة البشر، ونالهم بسببها كل أنواع المشقة والتعب من أقوامهم.

والآن نصحب المرسلين وهم يدعون إلى التوحيد، ويرفعون رايته، فقد وصى كل رسول أمته بعبادة الله وحده. دعا نوح عليه السلام قومه إلى التوحيد فقال: «يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (الأعراف: ٥٩)، وقال هود عليه السلام: «يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ» (الأعراف: ٦٥)، وقال صالح عليه السلام: «يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ» (الأعراف : ٧٣)، وقال شعيب عليه السلام: «يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ» (الأعراف: ٨٥)، وأعلن خليل الله إبراهيم عليه السلام هذه الدعوة على قومه فقال: «قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ» (الأنعام: ٧٨- ٧٩).

وهذا يعقوب حفيده عليه السلام يتوجه بها لبنيه فيقول: «مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٣).

وهذا نبي الله يوسف عليه السلام يعلن أنه متّبع دعوة آبائه الكرماء: «وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ» (يوسف: ٣٨). وقال يونس عليه السلام في وقت الكرب والشدة: «لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ» (الأنبياء: ٨٧). وقال موسى عليه السلام: «إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا» (طه: ٩٨).

وقالها عيسى عليه السلام لقومه: «وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ» (مريم: ٣٦)، وهكذا نجد كل رسول وقف من قومه موقفًا حاسمًا من أجل التوحيد حتى جاء خاتمهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقرع المشركين بالحجة وجادلهم بالبرهان وساق لهم بالبيان وحاجّهم بالقرآن مما يجعل الإنسان يحسّ ويسمع عن قرب كأنه يشاهد

مجلس حوار هادئ: «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (٣٥) أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون (٣٦) أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون (٣٧) أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين» (الطور: ٣٥- ٣٨).

واليك حوار من لون آخر لا يملك العقل السليم بعده إلا الإذعان لقضية الألوهية: «قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر» (يونس: ٣١). وهنا يتحير العقل كيف يجيب ولكن جواب المشركين معروف: «فَسَيَقُولُونَ اللهُ». وهنا يجئ الغرض من الحوار: «فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون» (يونس: ٣٢). ولا يقف حديث القرآن عند آية أو آيتين بل هناك آيات كثيرة لفتت نظر الإنسان إلى الإيمان بالله ونفي أن يكون له شريك في ملكه.

ثم يتوجه الحديث بهذا الاستفهام إلى المشركين وفيه عتب وتأنيب وساق الأدلة التي تدمغ حجتهم وتبطل دعوتهم: «قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين» (الأحقاف: ٤). وبين ضعف الشركاء والأنداد الذين عُبدوا من دون الله: «إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين» (الأعراف: ١٩٤).

إنهم لم يفكروا في صلاحية هذه المعبودات التي أشركوها مع الله: «أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون (١٩١) ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون» (الأعراف: ١٩١- ١٩٢). وستكون هذه المعبودات في النار يوم القيامة مع من عبدوهم: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (٩٨) لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون» (الأنبياء: ٩٨- ٩٩).

وقد بين رب العزة سبحانه أضرار تعدد الآلهة فقال تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» (الأنبياء: ٢٢- ٢٣)، وقال سبحانه: «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (٩١) عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون» (المؤمنون: ٩١-٩٢). وهكذا عالج القرآن الكريم عقيدة التوحيد الصافية والتنزيه لله عن الشريك والند فيسوق الدليل متسقًا مع العقل السليم، فلا تملك النفس الخاشعة-بعد سماعه- إلا الإذعان والتسليم إنه ليس لله شريكًا في ملكه يتوجه العباد إليه بالرجاء في جلب النفع ودفع الضر، وغير ذلك مما هو من خصائص الألوهية، فمن اعتقد أن غير الله يستطيع أن ينفع أو يضر فقد أشرك بالله تعالى، ومن أجل ذلك كان الشرك شذوذًا وخبلًا واضطرابًا يعتري النفس حين يخف الإيمان فيها فتخرج عن الطريق المستقيم والسلوك الرشيد ولا تستطيع أن تميز بين حق وباطل. «قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون» (يونس: ٣٤- ٣٥).

فلو أن إنسانًا أهدى إلى إنسان آخر خيرًا أو يسّر له أمرًا أو صنع معه جميلًا أو دلَّه على رشاد أو دفع عنه مكروهًا فإن مقتضى الأدب الجميل ومنطلق العقل السليم وطبيعة الفهم المستنير تقضي بإخلاص الإنسان لمن فعل معه ذلك كله إخلاصًا دائمًا، فكيف بربي: «الذي خلقني فهو يهدين (٧٨) والذي هو يطعمني ويسقين (٧٩) وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠) والذي يميتني ثم يحيين (٨١) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين» (الشعراء: ٧٨- ٨٢). فدلت هذه الآيات على أن الله هو وحده الإله الحق المتفرد بالعبادة: «ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل» (الحج: ٦٢)، «قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون» (الزمر: ٣٨).

فالتوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده، وهو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، كما قال الله تعالى: «واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من

دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ » (الزخرف: ٤٥). فدين الإسلام مبني على أصلين: أن يُعبَد الله وحده لا يُشرك به شيء، وعلى أن يُعبَد الله بما شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. وهذان هما حقيقة قولنا: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله).

والتوحيد: أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». (صحيح الجامع: ٦٤٧٩). وهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره، ولا ينتفع بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أهل التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، ولو كان المشرك محبًا له ومُعظمًا إياه لم تنقذه شفاعته من النار، وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به صلى الله عليه وسلم، ولهذا فإن أبا طالب وغيره ممن يحبونه ولم يقروا بالتوحيد الذي جاء به -صلوات الله وسلامه عليه- لم يكن ليخرج من النار بشفاعته ولا بغيرها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا». (رواه مسلم: ١/١٨٩).

فالهداية للتوحيد واجتناب الشرك فضل من الله يؤتيه من يشاء يستوجب الشكر، كما قال تعالى حكاية عن نبيه يوسف عليه السلام: «مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » (يوسف: ٣٨)، قال ابن عيينة رحمه الله: (ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم: لا إله إلا الله).

فالتوحيد الخالص والبراءة من الشرك لُباب الرسالات السماوية كلها وأساس الملة، قال الله تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة: ٣١).

وعليه: فليس هناك معبود مع الله يستحق أن يُدعى، فهو سبحانه وحده المستحق للدعاء وللعبادة، وهو وحده سبحانه دافع الضر ومالك النفع، المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، له الأمر كله، وله الخلق كله، وإليه يرجع الأمر كله، بيده وحده ملكوت كل شيء، قضاؤه نافذ، وقدره كائن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا رادّ لما قضى، وهو سبحانه المُؤمَّل وحده لكشف كل بلاء، ودَفع كل بأساء، فلا الملائكة ولا الأنبياء، ولا الصالحون والأولياء فضلاً عن غيرهم من الأدعياء يملكون لأحد ضرًا ولا نفعًا، «وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا» (الفرقان: ٣)، قال الله تعالى: «قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» (الزمر: ٣٨).

وإذا كان (خاتم النبيين وسيد ولد آدم يوم الدين عليه الصلاة والسلام) لن ينفع نفسه فضلًا عن غيره، ولو أننا قرأنا كتاب ربنا بتدبُّر وإمعان لوجدنا الجواب الكافي والعلاج الشافي، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ» (الرعد: ١٤)، والمعنى: «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ» أي: من دون الله من سائر خلقه: «لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ» أي: لا يجيبونهم بإعطائهم شيئًا مما يطلبون منهم. «إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ» أي: إلا كاستجابة من بسط يديه، أي: فتحهما ومدهما إلى الماء، والماء في قعر البئر، فلا كفاه تصل إلى الماء، ولا الماء يصل إلى كفيه وهو عطشان، ويظل كذلك حتى يهلك عطشًا، هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو خوف أو رجاء فهو محروم من الاستجابة، خائب في مسعاه، ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، على الإيمان نحيا، وعلى التوحيد الخالص نموت، إنه وحده ولي ذلك والقادر عليه.

الإذاعة للحروب العالمية الثلاثة

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب

رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فما زالت آثار الدمار التي اجتاحت معظم الكرة الأرضية بسبب الحربين العالميتين الأولى والثانية تدوي في آذان البشرية، وتسيطر على عقول النُّخب السياسية، وتؤثر على أيّ قرار يمهد لحرب أخرى كارثية، فإنهم إلى اليوم لا يستطيعون حصر الخسائر ولا بيان تفاصيل المحارق؛ لأن حجم الكارثة قد فاق الوصف. ولو نظرنا لحجم القتلى في الحرب العالمية الأولى فإن العدد الكلي للإصابات والقتلى في صفوف العسكريين والمدنيين في الحرب العالمية الأولى أكثر من ٣٧ مليون نسمة.

وأما الحرب العالمية الثانية فإجمالي عدد الضحايا يتراوح ما بين ٦٢ وحتى ٧٨ مليون قتيل، مما يجعل الحرب العالمية الثانية أكثر الصراعات العسكرية دموية على مر التاريخ.

قال روبرت جيه ماكمان في كتابه الحرب الباردة: "ومثلما يستمر عدد ضحايا هذا الصراع العالمي الطاحن في الاستعصاء على أي جهود إحصائية دقيقة، فإن فداحة الخسائر البشرية التي حصدها تظل بالتأكيد مستعصية على الاستيعاب على نحوٍ صادم بعد مرور جيلين على انقضاء الحرب العالمية الثانية، تمامًا كما كانت عقب انتهاء الصراع مباشرة.

العالم يخشى من قيام حرب عالمية ثالثة؛ لأن الناس تجرعوا مرارات الحروب العالمية.

فلا عجب إذًا أن نعْلم أنَّ دولتَين اليوم لهما من الجيوش أكْثر من خَمسة ملايين جندي، وأنَّ العالم يَملك من الرؤوس النوويَّة قرابةَ ٣٠ ألْف رأس نووي، وهي كفيلةٌ بتدْمير الكرة الأرضيَّة عدَّة مرَّات، وإهلاك الحرث والنسل.

ومن المعلوم يقينًا أن من قام بهذه الحروب المهلكة كانوا من الصليبيين والعلمانيين والملاحدة، ولم يكن للمسلمين فيها ناقة ولا جمل، بل كانوا من الضحايا بين الحلفاء. ويكفي أن نرد بهذا على مزاعم الملاحدة حول الإسلام وقسوته وانتهاكه للإنسان لتتجلى زيف هذه المزاعم والهرطقات.

فقد أحصى المؤلِّفون في السيرة النبوية العطرة عددَ القتْلى الَّذين قُتلوا في جميع الحروب التي خاضها النَّبي صلَّى الله عليْه وسلَّم، وهي سبع وعشرون غـزوة، وستٌّ وخمسون سريَّة، فلم يزيدوا على ألف قتيل فقط، وحقَّق الله -تبارك وتعالى- بذلك الأمن، وعم السلام وزاد الخير والوئام.

والإسلام في أعلى مقاصده يعتبر الحرب مفسدة لا تُرتكب إلا لدفع مفسدة أعظم منها، وأول مفسدة شُرعت الحرب لدفعها مفسدة الوثنية وعبادة الطاغوت، والصد عن سبيل الله، وإرهاب المسلمين ومنعهم من عبادة ربهم، والحفاظ على مقدساتهم.

ومما وقر في نفوس البشر أن بعض الشرور لا تُدفع بالخير، ولا تنقصم إلا بشرٍّ آخر. وإذا كانت الأحكام على الأشياء إنما هي بعواقبها وآثارها، فإن الشرَّ الذي يدفع شرًا أعظم منه يكون خيرًا كقطع بعض الأعضاء لإصلاح بقية البدن كما قال تعالى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ» (الحج: ٣٩، ٤٠)؛ فالحق الذي لا تحميه القوة يسقط في عين أعدائه ولا بقاء له.

وإذا كانت الحروب بين البشر قد أدت إلى هلاك أمم وتساقط دول، فما بالنا لو قامت حرب بين البشر وبين خالقهم ومربيهم وموجدهم من العدم، وهو الملك والمالك للدنيا والآخرة، ونحن إنما نسير في ملكوته وفوق أرضه وتحت سمائه، فهل هناك أحد يقوى على مجابهة خالقه أو محاربته! والله إنه الهلاك الذي لا حياة بعده والعذاب الذي لا نجاة منه.

وقد أعلن الله سبحانه الحرب على طوائف ثلاث من البشر:

الأول: آكل الربا

والربا معاملة تقع بالتراضي والاتفاق فلا غصب فيها ولا إلزام وهي بمقتضى عقول بعض البشر لا يرون فيها قبحًا ولا مانعًا، ولكنها عند الله جريمة تستوجب قيام حرب لا هوادة فيها مع الله فهو الذي خلق وهو الذي شرع فلا مُعقِّب لحكمه؛ «أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ» (الأَعْرَاف: ٥٤).

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ» (البقرة: ٢٧٨- ٢٧٩).

قرأ عاصم وحمزة (فآذِنُوا) مفتوحة الألف ممدودة مكسورة الذال على مثال فآمِنُوا، والباقون (فأْذَنُوا) بسكون الهمزة مفتوحة الذال مقصورة، أي: فأعلموا، والتقدير: فأَعْلِمُوا مَن لم يَنْتَه عن الربا بحرب من الله ورسوله، وإذا أُمِرُوا بإعلام غيرهم فهم أيضًا قد علموا ذلك، لكن ليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم، فهذه القراءة في البلاغة آكد. قَالَ ابْنُ عَبَّاس: «فأْذَنوا بحَرْب» أي: اسْتَيْقِنُوا بحَرْب من الله ورَسُوله.

وعنه أيضًا قال: يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَة لآكل الرِّبَا: خُذْ سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ. ثُمَّ قَرَأَ: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه».

قال ابن القيم: "المرابي محارب لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه. ولم يجئ هذا الوعيد في كبيرة سوى الربا، وقطع الطريق، والسعي في الأرض بالفساد؛ لأن كل واحد منهما مفسد في الأرض قاطع الطريق على الناس: هذا بقهره لهم وتسلُّطه عليهم. وهذا بامتناعه من تفريح

كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها. فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله. وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه وحرب رسوله. (طريق الهجرتين: ص٣٧٨).

ومن محاربة الله للمرابين أنه جعل الحرب ممتدة للدار الآخرة. فأما في الدنيا فقد تنوعت أساليب حرب الله لهم، فقد توعَّد المرابين بمَحْق مال الربا، وإن كان في نظر الناس كثيرًا فإنه سيزول وتكون عاقبته الهلاك؛ قال الله عز وجل: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» (البقرة ٢٧٦). وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلَى الله عليه وسلَم أنه قال: "الرِّبَا وَإِنْ كَثُر، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ" (أخرجه أحمد في مسنده، وهو في صحيح الجامع ٣٥٤٢). وقال ابن الأثير: "القُلّ، بالضم: القلَّة، كالذُّل والذِّلة. أي إنه وإن كان زيادةً في المال عاجلاً، فإنه يؤول إلى نقص".

يقوم آكل الربا كالمجنون، قال الله تعالى: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (البقرة ٢٧٥).

ثم إنه ملعون عند الله في كل حركة وسكنة؛ قال النبي صلَى الله عليه وسلَم: "لعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه"، وقال: هم سواء. (صحيح مسلم: ١٥٩٧).

ومن العقوبات التي سيتجرعها يوم القيامة: ما ورد في الحديث الذي رواه سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي صلَى الله عليه وسلَم: "رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا" (البخاري: ٢٠٨٥).

الحرب الثانية: المفسدون في الأرض

وقد كثر في مجتمعات المسلمين هذه الآفة، أن ترى جماعة من الشباب قد اجتمعوا وتعاهدوا على قطع طريق لمآرب كثيرة: إما للسرقة أو انتهاك الأعراض أو إخافة المارة وترويع الآمنين. ولا يعلمون أن ما يفعلونه قد استوجب محاربة الله لهم، ووجب على ولاة الأمر إقامة الحد عليهم وإلا عم الفساد وانقطعت السبل.

قال الله تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المَائدَة: ٣٣).

المحاربة: هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يُطلق على أنواع من الشر، والسبب في مشروعية هذا الحد أشد من حد السرقة؛ أن الاجتماع الكثير من بني آدم لا يخلو من أنفس تغلب عليهم الخصلة السبعية لهم جراءة شديدة وقتال واجتماع، فلا يبالون بالقتل والنهب، وفي ذلك مفسدة أعظم من السرقة.

وقد وقعت قصة في السنة النبوية تُفسِّر ما جرى لهؤلاء؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ، ثَمَانِيَةً، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ابْغِنَا رِسْلًا، قَالَ: «مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِالذَّوْدِ»، فَانْطَلَقُوا، فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا، وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، فَأَتَى الصَّرِيخُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ

الطَّلَب، فَما تَرجَّل النَّهارُ حَتَّى أُتِي بهِمْ، فَقطَّع أَيْديهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، ثُمَّ أَمَر بِمَسامير فَأُحْميتْ فَكحلَهُمْ بها، وطَرحَهُمْ بِالحرَّة، يَسْتسْقُونَ فَما يُسْقَوْنَ، حَتَّى ماتُوا، قالَ أَبُو قِلابَة: قَتَلُوا وَسرقُوا وَحارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم، وَسَعَوْا في الأَرْض فَسادًا. (صحيح البخاري ٣٠١٨، ومسلم ١٦٧١).

قال ابن عباس: "مَن شهر السلاح في قبّة الإسلام، وأخاف السبيل، ثم ظفر به وقدر عليه، فإمام المسلمين فيه بالخيار: إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله".

قال ابن جرير في قوله: «ذلك لهم خزي في الدنيا»؛ أي: شرّ وعار ونكال وذلة وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة. «ولهم في الآخرة عذاب عظيم»؛ أي: إذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتى هلكوا -في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم به في الدنيا، والعقوبة التي عاقبتهم بها فيها- «عذاب عظيم» يعني: عذاب جهنم.

الحرب الثالثة: الذين يؤذون أولياء الله تعالى

إن التعامل مع الصالحين يجب أن يكون بحذر، فأهل الله أهلٌ أن يُكرموا ويُعظموا، فأهل القرآن هم أهل الله، والعلماء أهل الله، والصالحون أهل الله، وليست الولاية فيما يظنه الناس في المقبورين وأرباب الموالد والطرقية، لا والله فكلما زاد المؤمن بطاعته زادت ولاية الله له.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" (رواهُ البُخاريُّ ٦٥٠٢).

أصل الولاية القرب، وأصل العداوة البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، فقسم أولياءه المقربين قسمين: أحدهما: مَن تقرّب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعْل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده

والثاني: مَن تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل، فظهر بذلك أنه لا طريق يُوصل إلى التقرب إلى الله تعالى، وولايته، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله.

والأذية: هي شاملة لكل أنواع الأذى النفسي والمعنوي والجسدي؛ من السبّ والقذف واللعن ونهب الأموال والظلم في الأقوال والأفعال واتهام الأبرياء بغير ما اكتسبوا، وغير ذلك مما يطول سرده من أنواع الأذى. وهذا كله حرام؛ لأن الله سبحانه وتعالى حرم كل أنواع الأذى فقال: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) (الأحزاب: ٥٨).

فإنه تعالى يتولى نُصرة أوليائه، ويحبّهم ويؤيدهم، فمن عاداهم، فقد عادى الله وحاربه.

وقال الحافظ أبو نعيم: كيف تستجيزُ نقيصةَ أولياء الله، ومؤذيهم يُؤْذَن بمحاربة الله؟!

فاللهم إنا نبرأ إليك من الربا ومن أباحه، وقطع السبيل ومن أتاحه، وظلم الأولياء وقد تبين لمبغضه هلاكه.

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحلقة (٣)

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

مقدمة عن الشطح عند الصوفية

إعداد لواء مهندس/محمود المراكبي
رحمه الله

الحمد لله الذي حبَّب إلينا الإيمان وزيَّنه في قلوبنا، وكرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وألحقنا بهم برحمتك يا أكرم الأكرمين.

وبعد: فقد انتهينا في الحلقة الثانية إلى نتيجة هامة: وهي أن اسم التصوف والصوفي لم يعرفا في الأمة الإسلامية خلال عصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وأن أول ظهور لهذه المسميات كان بعد المائة الثانية للهجرة.

الزهد في الإسلام:

نناقش في هذه الحلقة تطور الفكر الصوفي الذي كانت بدايته مواجهة إقبال الناس على الدنيا بعد زمن الفتوحات الكبرى، وانشغال كثير من المسلمين عما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، فبدأ تيار ينادي بالزهد، والزهد في الإسلام كما عرفه الصحابة؛ ليس في لبس المرقَّع من الثياب، وانما في إيثار الآخرة على الدنيا، وعدم الوثوق بما في أيديهم اعتمادًا على ما عند الله، فهذا أبو بكر -رضي الله عنه-، كان أغنى العرب عند بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكنه بذل ما يفنى رجاء ما يبقى، وأمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- كان من أزهد الناس، وقد شغله العدل بين الرعية وخوف المثول بين يدي الله عن متاع

الدنيا، وهذا الخليفة الثالث عثمان بن عفان يشتري بئر رومة، ويجهز جيش العسرة ويشتري الأرض اللازمة لتوسعات المسجد النبوي وغير ذلك من إقدامه على البذل والعطاء، وهذا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يسير على درب النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، ويبذل نفسه التي هي أغلى من أموال الدنيا، يوم بدر وأحد وخيبر وباقي الغزوات.

فزهد السلف الصالح ليس رهبانية ابتدعوها، ولا تحريم الحلال وإضاعة المال، وهذه هي حقيقة الزهد، وقد أثمر تيار الزهد ظهور المؤلفات التي تدعو إليه والتي كتبها علماء الحديث، ومنهم: زائدة بن قدامة (توفي ١٦٠هـ)، وعبد الله بن المبارك (توفي ١٨١هـ)، ومحمد بن فضيل بن غزوان (توفي ١٩٥هـ)، ووكيع بن الجراح شيخ الشافعي (توفي ١٩٧هـ)، وأسد بن موسى المعروف بأسد السنة (توفي ٢١٢هـ)، وسعيد بن منصور (توفي ٢٢٧هـ)، ثم أحمد بن حنبل (توفي ٢٤١هـ) وكتاباه «الزهد» و«الورع».

من الزهد إلى الشطح:

ويلخص ابن الجوزي رأيه في كتابه «تلبيس إبليس» عن بداية ظهور التصوف فيقول: "إن التصوف بدأ أولًا في شكل زهد وعبادة، وكان عند الصدر الأول منهم في شكل مجاهدة النفس للاستقامة، وتقويمًا لها وحملها على الصراط المستقيم حتى يصير تهذيبها خلقًا جبلية".

ثم ظهر قوم من الصوفية تكلموا في الجوع والفقر والوساوس والخطرات، مثل: الحارث المحاسبي (توفي ٢٤٣هـ) وكتبه «الوصايا»، و«الرعاية»، و«التوهم»، ثم أبي طالب المكي وكتبه عن علم القلوب وقوت القلوب، وظهرت جماعات يسمون أنفسهم الفقراء، وثانية تسمى البكائين، وثالثة تدعي العشق الإلهي، وأشهرهم رابعة العدوية، كما بدأ الزهد الصوفي يأخذ شكل لبس الخرقة والتجرد والمجاهدات، وفي نفس الوقت بدأت ظاهرة الشطح الصوفي، والتي تأثرت بدخول أفكار وفلسفات فارسية وهندية ويونانية مع دخول الإسلام إلى هذه البقاع، التي يرون أنها نتيجة مرور الصوفي بخمس مراحل هي:

أولًا: الوجد:

ويعرفه الصوفية بقولهم: "والوجد: هو ما صادف القلب من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة، أو كشف حالة بين العبد وبين الله -عز وجل-. قالوا: وهو سمع القلوب وأبصارها، فمن ضعف وجده وجود، والوجود: ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره، ومن قوى تمكن فسكن".

قال النووي: الوجد: لهيب ينشأ في الأسرار ويسنح عن الشوق، فتضطرب الجوارح طربًا أو حزنًا عند ذلك الوارد. وقال بعضهم: الوجد: بشارات الحق بالترقي إلى مقامات مشاهداته. («التعرف بمذهب أهل التصوف» لأبي بكر محمد الكلاباذي (١٣٤)).

وهذا أبو النصر السراج الطوسي في كتابه الشهير «اللمع» -والطوسي يصفه فضيلة الدكتور/ عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر الأسبق، أنه أعظم مؤرخ صوفي في تاريخنا قديمه وحديثه- يقول: "إن الوجد: مكاشفات من الحق، ألا ترى أن أحدهم يكون ساكنًا فيتحرك، ويظهر منه الزفير والشهيق؟ وقد يكون من هو أقوى منه ساكنًا في وجده لا يظهر منه شيء من ذلك، قال الله تعالى: « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » (الحج: ٣٥)، وأول الوجد رفع الحجاب، ومشاهدة الرقيب، وحضور الفهم، وملاحظة الغيب، ومحادثة السر، وايناس المفقود، وهو فناؤك أنت من حيث أنت).

وقال أبو سعيد (الخراز) -رحمه الله-: الوجد: أول درجات الخصوص، وهو ميراث التصديق بالغيب، فلما ذاقوها وسطع في قلوبهم نورها، زال عنهم كل شك وريب. («اللمع» لأبي نصر السراج الطوسي (٣٧٦)).

ويقال: إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند ذكر الموت، وفرق بعض المشايخ بين الوجد والتواجد بقولهم: (التواجد من الوجد بمنزلة التباكي من البكاء).

ويروى عن سيد الطائفة الجنيد قوله: لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم، وفضل العلم أتم من فضل (أي الزيادة) الوجد. («اللمع» لأبي نصر السراج الطوسي (٣٨١)).

ويقول القشيري: (الوجد يصادق قلبك ويرد عليك بلا تعمُّد وتكلُّف، ولهذا قال المشايخ: الوجد المصادفة، والمواجيد ثمرات الأوراد، فكل من ازدادت وظائفه -أي: نوافله- ازدادت من الله تعالى لطائفه)، وينقل عن شيخه أبي علي الدقاق قوله: الواردات من حيث الأوراد، فمن لا ورد له بظاهره، لا وارد له في سرائره، وقال عمرو بن عثمان المكي: لا يقع على كيفية الوجد عبارة؛ لأنه سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين .(«الرسالة القشيرية» لأبي القاسم هوازن القشيري (٥٨)).

وحكي عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، ومن أهمية الوجد في الفكر الصوفي ألف فيه أحمد بن بشر بن زياد الأعرابي كتابًا سماه «الوجد»، وقد لخَّصه الطوسي في كتابه «اللمع».

ثانيا: الغلبة:

وهي حال يمر بها الصوفي إذا زاد عليه الوجد حتى يغلبه، ويعرفونه بقولهم: والغلبة: حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظة السبب، ولا مراعاة الأدب، ويكون مأخوذًا عن تمييز ما يستقبله، فربما خرج إلى بعض ما ينكر عليه من لم يعرف حاله، ويرجع على نفسه صاحبه -أي: صاحب الغلبة، إذا سكنت غلبات ما يجده، ويكون الذي غلب عليه خوف أو هيبة أو إجلال أو حياء أو بعض هذه الأحوال. («طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (١٣٧)).

ثالثا: السكر:

فإذا ازدادت غلبة الوجد على الصوفي وصل إلى حالة السكر، والسكر: هو أن يغيب الصوفي عن تمييز الأشياء، وقد أطلق القشيري على السكر غيبة؛ حيث يقول: فالغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب. («الرسالة القشيرية» لأبي القاسم هوازن القشيري (٦٣)).

وكتب يحيى بن معاذ إلى أبي اليزيد يقول: سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته، فكتب أبو اليزيد في جوابه: سكرت وما شربت من الدرر، وغيري قد شرب بحور السماوات والأرض وما روى بعد، ولسانه مطروح من العطش ويقول: هل من مزيد. (رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/٤٠)، أبو الزيد البسطامي (٤٥٨)).

وتعبير السكر يذكرنا بمن يشرب الخمر حتى يغيب عن وعيه وإدراكه، فالصوفي إذا غلبه الوجد غاب عن نفسه، وربما نطق بما يؤاخذ عليه، وهو ما يسمح بالشطح. وهذا ما سنتناوله في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

من أخبار الجماعة

الرئيس العام في فرع العاشر من رمضان

في إطار خطة المركز العام للتواصل مع فروع الجمعية؛ قام الرئيس العام فضيلة الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد يوم الأحد 19 رجب 1446هـ، الموافق 19 يناير 2025م بزيارة فرع العاشر من رمضان؛ حيث التقى قيادات الجمعية بفرعي بلبيس والعاشر من رمضان، وقد اطلع الرئيس العام على أنشطة الفرع المتميزة، وفي مقدمتها خدمة بيوت الله تعالى ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، وكفالة الأيتام، كما تقوم الجمعية بالتواصل الجيد مع معظم طبقات المجتمع من خلال الخدمات الصحية متمثلة في عيادات التوحيد التخصصية:

- خدمات المتوفى من نقل الموتى والمقابر المجانية.
- التواصل مع أصحاب الهمم من خلال تقديم ما تيسير تقديمه.
- في مجال الخدمات التعليمية تقوم الجمعية بالإشراف على العديد من الحضانات المتميزة.
- كما تقوم الجمعية برعاية الطالبات المغتربات من خلال دور المغتربات وفق أعلى المعاير.

وهذه دعوة لكل الفروع للتنافس والتسابق في أعمال الخير، سائلين الله تعالى أن يديم على بلادنا نعمة الأمن والاستقرار.

والله ولي التوفيق.

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
عام ينتهي .. وصفحة تطوى !!
انصار السنة المحمدية والانتخابات
يا دعاة الأمة: الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

التوحيد
١٤٤٣